جامعة الأزهر الشريف
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدمياط الجديدة
قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

نظرات في

علـــم المنـــاسبـــات

في القرآن الكريم

إعداد

د/ محسن عبد العظيم الشاذلي

مدرس التفسير وعلوم القرآن الكريم بالكلية

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

إعجاز القرآن الكريم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه وبعد ،

فلا يروق لي في معرض الحديث عن بيان إعجاز القرآن أن أعقد مقارنة بين أسلوب القرآن الكريم وبين الأساليب الأخرى من أشعار الناس وخطبهم ، لأن ذلك -في رأيي- تقليل من قيمة القرآن الكريم وانتقاصا من مكانته ، وهذا لا يجوز ، كما قال القائل :

متى ما أقل : مولاي أفضل منهم .:.أكـن للـــذي فضلته مُتَنَقِّصـــا

ألم تر أن السيف يزري به الفتى.:إذا قيل إن السيف أمضى من العصا[1]

كما أنه يجعلنا نغض الطرف عن كل ما في أساليب المتكلمين من حسن وترابط إذا قارناها بآيات القرآن الكريم ، وهذا أيضا لا يصح ؛ فالله ﷻ يقول ﴿ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ [2]

وما ذاك إلا لبعد ما بين الأسلوبين ، فالأول كلام الله ﷻ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فهو قد اشتمل على صدق الأخبار ومثالية المبادئ وواقعية الأحكام وفوق ذلك فصاحة الألفاظ وحسن التركيب وجودة النظم ومجيء كل

([1]) نسبه الثعالبي في (يتيمة الدهر) إلى أبي درهم البندنيجي (٥/ ٢٩٩) .

([2]) الأعراف ٨٥ .

لفظة منه في مكانها بحيث لا يصلح غيرها موضعها ، والثاني كلام البشر الذي لا تجتمع له هذه الأمور أبدا ، فإن أدرك قائلُه واحدة من هذه الخلال فاته غيرها فهو لا يرضى عنه أبدا ، لذلك فإن العرب الذين نزل هذا الكتاب بين ظهرانيهم –وهم مَن هم في الفصاحة والبيان– قد وقفوا عاجزين عن أن يأتوا بسورة من مثله، ولم يكن سر عجزهم عن معارضته ما اشتمل عليه من أحكام وتكاليف تصلح لكل الناس في كل زمان ومكان ، ولا ما فيه من علوم كونية واجتماعية ، ولا ما فيه من إخبار بأمور غيبية وقعت في الماضي أو ستقع فيما بعد ، إنما الذي أعجزهم وحيرهم وألجمهم –عن معارضته– حجرا ، هو هذا الأسلوب القرآني المتفرد في البلاغة؛ ولذا فسأكتفي –في عجالة– بالإشارة إلى بعض آيات من القرآن أشارت إلى بلاغته وإعجازه :

أولا : قول الله ﷻ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (١)

إن هذه الدعوة إلى التدبر في كتاب الله ليست دعوة إلى تدبر أحكامه وعظاته وتشريعاته فقط ، بل هي أيضا دعوة إلى تدبر أسلوبه وتراكيبه ... لماذا قَدَّم هذه الكلمة في مكان وأخرها في آخر ؟ لماذا ذكرها هنا وحذفها هناك ؟ لماذا كَرَّرَها ؟ لماذا اختارها بعينها ولم يُعَبِّر بغيرها ؟

أسئلة كثيرة تقفز إلى الأذهان حين تمر الأعين وتسمع الآذان كلام الله رب العالمين ، والأجوبة عليها تحتاج إلى أبحاث تضيق عنها أمهات الكتب ، إن أسلوب القرآن الكريم لا تَقِلُّ روعته وهو يعرض القصة عن

---

(1) النساء ٨٢ .

روعته وهو يُقَرِّر حكما أو يُبَيِّن حدّاً ، رغم ما بين هذه المجالات من بُعْد ، فهو فيها جميعا يتسم بجودة السبك ولطف المأخذ وروعة البيان .. لا تقل روعته ، ولا تنتهي عظمته ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلَق على كثرة الرد ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

ثانيا : قول الله ﷻ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(١)

إن هذه الآية وإن كانت إخباراً عن قول قوم فرعون لموسى عليه السلام إلا إنها تصف واقعا عاشه العرب قديما مع القرآن الكريم بينما كان يتنزل فيهم ، فهي تعريض بهم وبأفعالهم ، وسأذكِّرك هنا بموقفين لهؤلاء المعاندين- والفضل ما شهدت به الأعداء- يجليان لك ما في نفسي ، أخرج ابن جرير عن عكرِمة، أن الوليد بن المُغيرة جاء إلى النبي ﷺ ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنَّك مُنكر لما قال، وأنك كاره له ؛ قال: فما أقول فيه ؟ **فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى،** قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني

---

(1) يونس ٧٦ .

حتى أفكر فيه؛ فلما فكَّر قال: هذا سحر يأثره عن غيره" [1] وفي موقف آخر -مع عتبة بن ربيعة- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن محمد بن كعب أن النبي ﷺ قرأ عليه سورة فصلت **فلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ** إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : : سمعت يا أبا الوليد ؟ قال : سمعت . قال : فأنت وذاك . فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني **والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة .** " [2]

فإن سألتني بعد ذلك فقلت : أترى أن الوليد بن المغيرة ، وعتبة بن ربيعة قد أدهشهما حديث القرآن عن خلق الأرض والسماوات ؟ أم تراهما قد سحرا بما سمعا من فصاحة هذه الكلمات ؟ فجوابي لك : كلا بالطبع ، فإنهم كانوا يعلمون قضية خلق السماوات والأرض من الكتب السماوية السابقة نظرا لاتصالهم بأهل الكتاب في تجاراتهم ، كما أنهما -كما قالا- كانا أعلم قومهما بالشعر والرجز وكلام الكهان ، إن الذي جعل أبا الوليد يلقي بيديه خلف ظهره وينصت في ذهول إلى القرآن هو إعجاز أسلوب القرآن لكل ما

---

(1) تفسير الطبري ٢٤ / ٢٤ انظر : دلائل النبوة للبيهقي باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز ، والحاكم في مستدركه ٣ / ٣٩١ باب تفسير سورة المدثر وقال -ووافقه الذهبي- صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(2) دلائل النبوة للبيهقي باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله من الإعجاز ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥ .

سمعه من قبل ، وإن الذي غير وجهه -وقد عرف ذلك قومه-هو أسلوب القرآن ، لذلك وصفه بأنه (سحر) !! نعم .. سحرك والله يا أبا الوليد ؛ وأخرج البيهقي أيضا عن الزهري قال : حُدِّثت أن أبا جهل ، وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق فتلاوموا ، وقال : بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة . ، ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقالوا : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس : وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ،ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن

شريق"[1]

وأسألك الآن : أتراهم -وقد أتوا يسترقون السمع إلى القرآن مستخفين من بعضهم- قد سحروا بما تضمنه من أحكام وتكاليف ؟ كلا بالطبع فإن الحادثة مكية ولم يكن ثمة تكليف ، إنما الذي سحرهم هذا القرآن الذي قالوا فيه " إن هذا لسحر مبين " .

ثالثا : قول الله ﷻ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [2] وقد وردت هذه الآية تحديا منه ﷻ لكفار قريش أن يأتوا من عند أنفسهم بمثل هذا القرآن ، وليس المقصود من المثلية في الآية أن يأتوا مثل ما أتى القرآن به من أخلاق ، لأنهم كان عندهم من مكارم الأخلاق ما أشاد به النبي ﷺ حين قال لأشج عبد القيس - وقد أتى ليبايعه ﷺ على الإسلام - : ﴿ إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله .. الحلم والأناة ﴾ [3] كما أشار ﷺ إلى وجود هذه الأصول عندهم حين قال ﴿ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ [4] إذن فقد كانت بعض الأخلاق موجودة عندهم وجاء ﷺ ليتممها سواء كان معنى التتميم هنا أن يعدلها أو يضيف إليها ما غاب عنهم منها ،

وليس المقصود منها -أعني المثلية- كذلك أن يأتوا بمثل ما في

---

(1) المصدر السابق ٢ / ٢٠٦

(2) الإسراء ٨٨ .

(3) صحيح : مسلم (١ / ٤٦) ك/ الإيمان باب / الأمر بالإيمان بالله ورسوله .

(4) رواه الحاكم في المستدرك (٢ / ٦٧٠) رقم ٤٢٢١ وقال صحيح على شرط مسلم ، قال الذهبي : صحيح.

القرآن من أحكام ومبادئ لأن التحدي إنما يكون من جنس ما برع فيه القوم ،وصياغة الأحكام لم تكن صنعتهم، إنما المثلية تعني أن يأتوا بمثله في أسلوبه ولغته ، وتراكيب ألفاظه وجُمَلِه ، وترتيب آياته وسوره ، إلى غير ذلك من هذه الفنون ....

وقد عجز هؤلاء في هذا التحدي ، بل عجزوا فيما هو أقل من ذلك ، لذلك فإننا حين نذكر وجوه إعجاز القرآن نذكر معها هذا العجز الذي لازم البشر في محاولة مجاراته ومحاكاته ، ونُقِرُّ أن البشر مهما أوتوا من العلم فلن يصلوا إلى كل ما فيه من معارف وفنون وعلوم وأنهم كلما استعطوه أعطاهم ، وكلما سألوه من علمه زادهم ، ونقر كذلك أنهم مهما حاولوا النيل منه ارتدوا خائبين ، وكلما أرادوا محاربته انقلبوا خاسرين ، فهو كالبحر ..لا تعدم منه الخير أبدا ولا تملك أن تجترأ عليه ، لَيِّن في قوة ، هادئ في هيبة ، يَرِدُه كل الناس فيعطيهم من فضله، ثم يصدرون عنه ، وما شعروا بأن نقصا اعتراه !!.

وكل منصف للحقيقة يُقرُّ أن الأسلوب الذي جاء عليه القرآن الكريم، والنسق الذي صيغت عليه آياته، أمر في غاية الروعة والبيان، ولا عجب في ذلك، فهو كلام رب العالمين، وهو ﴿ أحسن الحديث ﴾ ، ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ ؟!!

وقد تحدث العلماء قديماً وحديثاً عن الأسباب التي جعلت القرآن يؤثر هذا التأثير بسامعيه وقارئيه، فأرجع بعضهم ذلك إلى جانب التعبير اللفظي ، وأسلوب الصياغة ، والتناسب الصوتي .

وأرجعها آخرون إلى جانب النظم، وأحوال التراكيب، كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، وتفصيل العبارة بحسب مقتضاها؛ وأرجعها فريق ثالث إلى جوانب أخرى بالإضافة إلى هذين الجانبين

وكان من أنصار الاتجاه الأول الجاحظ ([1]) والرماني ([2])،

وكان من أنصار الاتجاه الثاني عبد القاهر الجرجاني ([3])، صاحب كتاب "دلائل الإعجاز "الذي ضمنه ما يسمى بـ ((نظرية النَّظم))

وقد أولى المعاصرون من المهتمين بالدراسات القرآنية هذا الجانب عناية خاصة، وأبرزوا تلك الخصائص الجمالية التي تضمنها القرآن، سواء في

---

[1]) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.مولده ووفاته في البصرة.فلج في آخر عمره.وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره.قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه.له تصانيف كثيرة، من أشهرها : " البيان والتبيين – ط " و " سحر البيان – خ " و " مسائل القرآن ". الأعلام للزركلي – (٥ / ٧٤)

2) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة.أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها كتاب " التفسير " و " شرح أصول ابن السراج " و " النكت في إعجاز القرآن – ط " . الأعلام للزركلي – (٤ / ٣١٧)

3) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، وُلِدَ وتوفي في جرجان. تتلمذ على أبي الحسين بن عبد الوارث، ابن أخت أبي علي الفارسي، ويُعد عبد القاهر واحدًا من الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية في مجال الدرس اللغوي والبلاغي، إذ تقف مؤلفاته شامخة حتى اليوم أمام أحدث الدراسات اللغوية، ويُعد كتابه دلائل الإعجاز قمة تلك المؤلفات؛ حيث توصل فيه إلى نظريته الشهيرة التي عُرفت باسم نظرية التعليق أو نظرية النظم، التي سبق بها عصره، ومازالت تبهر الباحثين المعاصرين، وتقف نداً قويًا لنظريات اللغويين الغربيين في العصر الحديث.

جانب اللفظ والعبارة، أم في جوانب النظم والتركيب، أم في جانب الصوت والإيقاع .

فـ الزرقاني وهو يتحدث عن خصائص النظم القرآني، ويجعل في مقدمتها ما سماه (مسحة القرآن اللفظية) يقول " إنها مسحة خلابة عجيبة، تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي".([1]) والعلامة المرحوم محمد عبد الله دراز له كتاب قائم على إبراز إعجاز القرآن في أسلوبه ، سماه (النبأ العظيم) ([2]) .

وإذا تبين أهمية الجانب اللفظي في إظهار روعة القرآن على وجه الإجمال، نتقدم خطوة أخرى -لنقف في هذا البحث- بشيء من التفصيل على أحد جوانب الإعجاز القرآني في أسلوبه ، من خلال هذا البحث الذي عنونت له ب(نظرات في علم المناسبات في القرآن الكريم)..

أسباب اختيار الموضوع :

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب . هي:

أولا : خدمة كتاب الله ﷻ ، إذ هو أحق ما بذلت فيه الجهود والأموال ، وصرفت إليه الأوقات والأعمار ، كيف لا وقد قال النبي ﷺ ﴿ إن لله عز و جل أهلين من الناس ، قال – أي الراوي – قيل : من هم يا رسول الله ؟

---

[1]) مناهل العرفان في علوم القرآن – (٢ / ٣٠٩)

[2]) وهو من أنفس ما كتب في إعجاز القرآن الكريم ، ولا يعيبه -في الحديث عن ترابط موضوعات السور- إلا اقتصاره على الكلام عن سورة البقرة ، وكم يتمنى قارئ هذا السفر العظيم لو أن صاحبه أكمل القرآن على هذا المنوال . قدم للكتاب فضيلة العلامة الدكتور عبد العظيم المطعني رحمه الله ، وشرفت بطباعته دار القلم بالكويت . وشهد له علماء أثبات بتفرده ونفاسته .

قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ﴾ [1] .

ثانيا : محاولة لإبراز إعجاز القرآن الكريم من ناحية جديدة في تركيبه ونظمه ، هي الحديث عن التناسب بين كلماته وآياته وسوره .

ثالثا : أهمية هذا اللون من الدراسات القرآنية ، إذ إن لها النصيب الأكبر في زيادة إيمان المؤمنين ، وفي زيادة حسرة الكافرين ، لتيقن الكل – بعد ما يعلمونه من إعجاز أسلوب القرآن– أن هذا الكلام ليس من عند البشر ،وإنما هو من كلام خالق القوى والقدر ..

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة ، اشتملت **المقدمة** على أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث ومنهجه ، وتناول **الفصل الأول** الحديث عن :

- ظاهرة التناسب تعريفا ونشأة .
- الفرق بينها وبين التشابه اللفظي .
- موقف العلماء منها .
- فائدتها .

ثم كان **الفصل الثاني** للحديث عن أنواع المناسبات ، وتضمن خمسة مباحث :

- المبحث الأول : مناسبة الصوت.
- المبحث الثاني : مناسبة الحركة.
- المبحث الثالث : مناسبة الحرف .
- المبحث الرابع: مناسبة الكلمة.
- المبحث الخامس : مناسبة الصورة .

([1]) رواه الإمام أحمد في مسنده من عدة طرق عن أنس بن مالك ﷺ (٣ / ١٢٧) حديث رقم ١٢٣١٤ ، قال المحقق : إسناده حسن .

- المبحث السادس : مناسبة الرسم .
- المبحث السابع : مناسبة الآية .
- المبحث الثامن : مناسبة السور.
- المبحث الأخير: مناسبة السياق

ثم كانت الخاتمة متضمنة :

- أهم نتائج البحث .
- التوصيات المقترحة .
- فهرست موضوعات البحث .

منهج البحث :

اعتمد الباحث في بحثه هذا ، المنهج التالي :

أولاً : تعريف كل مصطلح ، وبيان المقصود به .

ثانياً : توثيق ما ورد بالبحث من نصوص ، كعزو الآيات القرآنية إلى سورها ، مثبتا لها في صلب البحث لا في هامشه . وتخريج الأحاديث الواردة في البحث . وكذا نسبة ما نقله من أقوال أو أشعار أو غير ذلك إلى قائليها.

ثالثاً : ذكر أمثلة تطبيقية ، وشرحها ، مع كل نوع من أنواع المناسبة .

رابعاً : أعمل الباحث عقله كثيرا في بيان وجه الإعجاز فيما ذكره من أمثلة ، معتمدا في ذلك على بعض إشارات في كتب السابقين .

خامساً : أشار الباحث إلى نفسه في ثنايا البحث بكلمة (الباحث) إشارة إلى أن ما قاله اجتهاد ، إن أخطأ فيه فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

اللهم ارزقنا السداد والإخلاص في القول والعمل .

الباحث / محسن عبد العظيم الشاذلي

الفصل الأول

تعريف علم المناسبة

المناسبة في اللغة : المقاربة والمشاكلة ، يقالُ : بين الشَّيْئَين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ : أي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ "([1]) ، وقال ابن فارس" :النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء... والنَّسيبُ: الطريق المستقيم، لاتِّصال بعضِه من بعض"([2]) ، وهي تعني الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه . ويمكن تعريفه في هذا المقام بأنه بيان أوجه الارتباط بين كلمات القرآن ، وآياته، وسوره .

* ولعل النظرة الأولى في جذر هذا الاسم (ن. س. ب) -التي هي علم على رابطة من أقوى الروابط بين البشر (أعني رابطة النسب)- ، تشير إلى وجود رابط قوي -كقوة هذا النسب- بين كلمات القرآن بعضها وبعض ، وبين آياته كذلك ، وبين سوره كذلك أيضاً.

فكأن القرآن كله أسرة واحدة ... (الحركة) أصغر أفراد هذه الأسرة ، وهي بنت (الحرف) وهو ابن للكلمة ، ثم (الكلمة) وأخواتها أولاد للآية التي هي فيها ، وتلك (الآيات) مجتمعة أولاد السورة التي تضمها ، ثم تلك (السور) مجتمعةً أولادُ للقرآن الكريم ، فإن سألت (الباحث) بعد ذلك : فمن رب هذه الأسرة والقائم على أمرها ؟ قال لك : إنه (السياق) ؛

لأنه هو الذي يقرر من يكون في بيته ومن لا يكون ؟ ولماذا هذا دون غيره ؟ ويعطي كل فرد داخل بيته وظيفة لا يتجاوزها ولا تتجاوزه .... شأنه في ذلك شأن الأب الحاني والمربي الناصح الذي يحوط أسرته فيمنع عنها

---

[1]) تاج العروس من جواهر القاموس - (٤ / ٢٦٥)

[2]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس - (٥ / ٤٢٤)

الدخلاء ؛ لذلك عرف البقاعي المناسبة بقوله :علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال" ([1]) .

وسماه الشيخ الشنقيطي ب«التَّنَاسُبَ ، وَالِائْتِلَافَ . وَالتَّوْفِيقَ ، وَالتَّلْفِيقَ» . وقال " فَهَذِهِ كُلُّهَا أَسْمَاءٌ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الْبَدِيعِ الْمَعْنَوِيِّ . وَضَابِطُهُ : أَنَّهُ جَمْعُ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لَا بِالتَّضَادِّ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)، فَإِنَّ الشَّمْسَ ، وَالْقَمَرَ مُتَنَاسِبَانِ لَا بِالتَّضَادِّ " ([2])

والتعبير الدارج عند البلاغين والمفسرين عن مصطلح (التناسب) هو (المشاكلة)؛ وهي أصل من أصول العربية، تُطْلَب في الكلام، ويُترك لأجلها ما يقتضيه الميزان الصرفي أو القاعدة الإعرابية، ويقصدها الفصحاء والبلاغيون؛ لما لها من قيمة جمالية .

جاء في كتاب (النبأ العظيم) : اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته –وتنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟ وكيف ختمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطئت أولاها لأخرها؟ ..وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتى. ولسوف تحسب أن السبع الطول من سورة

---

[1]) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن – (١ / ١٤١)

[2]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – (٤ / ١٠٨)

القرآن قد نزلت كل واحدة منها دفعة، حتى يحدثك التاريخ أنها كلها أو جلها قد نزلت نجومًا. أو لتقولن: إنها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع؛ كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته، ثم فرق أنقاضًا فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة.

أجل، إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرتَ- بنيةٌ متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحام. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا. ولماذا نقول: إن هذه المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحُجُرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين

والعروق والأعضاء؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًّا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية " [1].

ويقول سيد قطب في" ظلاله " :"إن في هذا القرآن سراً خاصاً، يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن. يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير. وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه على كل حال موجود. هذا العنصر الذي ينسكب في الحس، يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة ؟ أهي هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود ؟. "!

ولا شك، فإن روعة القرآن وتفرده تأتي من هذه الأمور مجتمعة، ولا يمكن إرجاع روعته وتفرده إلى جانب واحد من تلك الجوانب المشار إليها، غير أن الجانب اللفظي واللغوي من القرآن كان له نصيب لا يستهان به في روعة هذا القرآن وفرادته؛ ذلك أن القرآن نزل على أمة تقيم وزناً للكلمة، وتهتم بشأن اللغة بياناً وأسلوباً غاية الاهتمام، "وأي شيء في تاريخ الأمم – كما

---

1) النبأ العظيم – (١ / ١٨٧) للعلامة محمد عبد الله دراز .

يقول الرافعي – أعجب من نشأة لغوية، تنتهي بمعجزة لغوية" ([1]) .

تاريخ هذا العلم

يعد علم المناسبة من أهم علوم القرآن التي تعين المفسر على تفسير النص القرآني المعجز الذي له وجوه إعجازية عديدة ، كجوهرة ذات جوانب ترمي بالشعاع من جهات شتى .

وهذا العلم يعيننا على رد مزاعم المستشرقين بأن القرآن الكريم غير مترابط الأجزاء في معظم سوره .

وقد أولى علماؤنا الكرام هذا العلم عناية فائقة في كتب التفسير وعلوم القرآن، حتى أنهم أفردوا له مؤلفات منذ بداية القرن السادس الهجري .

وقد ظهر هذا العلم أو لاً باسم ارتباط الآي، وترتيب الآي، كما نجد لدى أبي بكر بن العربي الذي ألف كتابًا بعنوان :**ترتيب آي القرآن**، الذي ذكره في كتابه **الناسخ والمنسوخ** أثناء كلامه على سورة الأنعام، وكذلك نجد استخدام هذا المصطلح لدى الرازي الذي يقول : "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط" ([2])

أما أول من وضع مصطلح (المناسبة) لهذا الفن فليس معلوما إلا أننا نجد أن من أول من استخدمه الرازي عند تفسيره لآخر سورة المائدة وكلامه عن مناسبة خاتمة السورة لافتتاحيتها، وتبعه أبو بكر النيسابوري الذي عاش في القرن السابع الهجري .

---

[1]) تاريخ الأدب العربي للرافعي – (١٩١)

[2]) تفسير الفخر الرازى (ص: ١٤٧٣)

وقد شاع خطأً ولأسباب عديدة أن أبا بكر النيسابوري هذا هو نفسه الذي توفي عام (٣٢٤ هـ- ٩٣٥ م)،مما ترتب عليه التأريخ الخاطئ لنشأة هذا العلم، فهذا العلم نشأ قبل أبي بكرالنيسابوري بزمن بعيد ولكن أبا بكر كان له الأولية في إظهاره في مدينة بغداد .وقد أوضح د .عبد الحكيم الأنيس في بحثه القيم :(أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) ، وبين فيه بالتفصيل الأسباب التي كانت وراء وقوع هذا الخطأ.

أما أولية ذكر المناسبات في كتب التفسير فهي غير واضحة تمام الوضوح إلى الآن ، إلا أن أقدم إشارة نقف عليها- إلى هذا الوقت _ هي إشارة الجويني عبد الله بن يوسف (٤٣٨ ه /١٠٤٧ م) والد إمام الحرمين في تفسيره، حيث أشار إلى أبي الحسن الدهان .

أما إفراد المناسبة بالتأليف فلعل الأولية فيه للعالم الواحد الذي ذكره ابن العربي مبهما وهو ما زال عندنا مجهولا، ثم تبعه ابن العربي بالتأليف .

ولا يخلو كتاب تفسير قديمًا وحديثًا من الإشارة إلى ربط الآيات بما قبلها، بين متوسع في ذلك ومختصر.

ومن المتقدمين الذين ذكروا المناسبات بين الآيات وبين السور :

الخطيب الإسكافي في تفسيره(درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) ، والكرماني محمود بن حمزة في تفسيره (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ،وكتاب (البرهان في متشابه القرآن)، والزمخشري في تفسيره (الكشاف)،

وأبو الحسن علي بن أحمد التجيبي(الحرالي المغربي نزيل حماة) له تفسير استفاد منه البقاعي في تفسيره المشهور، نظم الدرر، وقد صنفت فيه رسالة

نفيسة بعنوان (تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير) مستخرجة من: تفسير البقاعي «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور».لمحمادي بن عبد السلام الخياطي، أستاذ بكلية أصول الدين تطوان

والعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسي (ري الظمآن في تفسير القرآن) ، والإمام فخر الدين الرازي في تفسيره : (مفاتيح الغيب)، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي في تفسيره:(ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل)، والإمام أبو حيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط)، والبقاعي في تفسيره (نظم الدرر).

ومن المتأخرين الذين ذكروا المناسبات بين الآيات وبين السور:

أبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، والألوسي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني) . وقد أشار السيوطي في الإتقان أن له مؤلفا في هذا الباب ، حين قال وهو يتحدث عن المؤلفين في هذا النوع من علوم القرآن " وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته تناسق الدرر في تناسب السور" ([1])

ومن المفسرين المعاصرين الذين توسعوا في الكلام عن المناسبات:

سيد قطب، في تفسيره (في ظلال القرآن)، وكتابه (التصوير الفني في القرآن) ومحمد علي الصابوني، في تفسيره (صفوة التفاسير) وسعيد حوى

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٨٨)

في تفسيره (الأساس في التفسير). و أحمد ياسوف في رسالته (جماليات المفردة القرآنية) و عدنان محمد زرزور في كتابه (مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه) و مصطفى مسلم في كتابه (مباحث في إعجاز القرآن) وآخرون .

وقد يقول قائل :من المعلوم أن القرآن نزل مفرقا لمدة ثلاثة وعشرين عاما ولأسباب مختلفة متباينة فكيف تبحثون عن وجوه المناسبات بين آياته وسوره؟

فنقول قبل البدء بالتفصيل : إن علم المناسبات يعتمد على ترتيب الآيات في السورة الواحدة، وترتيب السور بين بعضها حسب ترتيب المصحف، فلابد من التأكيد على أن ترتيب الآيات توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، وهو ما توارثته الأمة في تاريخها،" جاء في الإتقان : "الإِجْمَاعُ وَالنُّصُوصُ الْمُتَرَادِفَةُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الآيَاتِ تَوْقِيفِيٌّ لاَ شُبْهَةَ فِي ذَلِكَ . أَمَّا الإِجْمَاعُ فَنَقَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الزَّرْكَشِيُّ فِي الْبُرْهَانِ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي مُنَاسَبَاتِهِ ، وَعِبَارَتُهُ تَرْتِيبُ الآيَاتِ فِي سُوَرِهَا وَاقِعٌ بِتَوْقِيفِهِ ﷺ وَأَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ خِلاَفٍ فِي هَذَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . انتهى [1]

وأما ترتيب السور فالراجح أنه توقيفي ولا يعتد بقول من خالف ذلك .

وترتيب الآيات في السور، ثم ترتيب السور بين بعضها كما هو في المصحف، ألغى حجة اعتبار الزمان والمكان وأسباب النزول أو الأشخاص الذين نزلت فيهم الآيات، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

---

[1]) الإتقان في علوم القرآن - (١ / ١٦٧)

موقف العلماء منه

تباينت مواقف الناس من هذا النوع ما بين مغال في إثباته ، وما بين ناف له ، وقد أشار إلى ذلك السيوطي رحمه الله في إتقانه حيث نقل بعض أقوال – متباينة– لأهل العلم في هذا الباب ، يمكن تصنيف قائليها إلى فريقين ،

الفريق الأول يرى أهمية الحديث عن علم المناسبة باعتباره جانبا قويا من جوانب إعجاز القرآن ، ومن ثم يقول بوجوده –أعني التناسب– بين آيات القرآن وسوره ، ومن هؤلاء :

ابن العربي حيث يقول : " ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه".

الإمام الرازي حيث يقول في سورة البقرة "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار صورته .. والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

الشيخ ولي الدين الملوي إذ يقول : قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة .

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له .

والفريق الآخر يرى أن البحث عن المناسبة بين آيات القرآن وسوره أمر يخرج بالقرآن عن إعجازه لأنه لا يتم إلا بتكلف ، ومن هؤلاء الشيخ عز الدين بن عبد السلام إذ يقول : "المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض" !!.

والشوكاني رحمه الله إذ يقول في مقدمة تفسيره : " وإن هذا -يقصد علم المناسبة- لمن أعجب مٰا يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عز و جل إليه وكل عاقل فضلا عن عالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا وتحليل أمر كان حراما وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله وتارة يكون الكلام مع المسلمين

وتارة مع الكافرين وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر وحينا في عبادة وحينا في معاملة ووقتا في ترغيب ووقتا في ترهيب وآونة في بشارة وآونة في نذارة وطورا في أمر دنيا وطورا في أمر آخرة ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية وإذا كانت أسباب النزول مختلفة هذا الإختلاف ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الائتلاف فالقرآن النازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضب والنون والماء والنار والملاح والحادي وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور فإنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه وأنه لا يكون القرآن بليغا معجزا إلا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبين الأمر الموجب للارتباط فإن وجد الاختلاف بين الآيات فرجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفا محضا وتعسفا بينا انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة" .([1])

ونقل هذا الكلامَ عنه العلامةُ صديق حسن خان في تفسيره (فتح البيان)([2])

وإن العجب ليتملك (الباحث) من كلام مشايخنا عليهم رحمة الله ، ويتساءل : هل غاب عنهم أن للقرآن تنزلين جملة – إلى اللوح المحفوظ ثم إلى بيت العزة في سماء الدنيا– قبل نزوله مفرقا ؟

---

[1]) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (١/ ١١٦)

[2]) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ١٥١)

وهذا يعني أنه لا يوجد زمان فاصل بين أجـزاء القـرآن-كلمـات وآيـات وسورا- إلا في تنزله الأخير من السماء الدنيا إلى قلـب رسـول الله ﷺ .

فكيف يستبعد وجود التناسب بين كلماته وآياته وسوره ؟!

اللهم إلا أن يكون لديهم أدلة أخرى (نقلية) تؤكد ما ذهبوا إليه ، وهذا ما لم يقف الباحث على شيء منه .

ومع التسليم جدلا بوجود هذه الأدلة ، فهل (التناسب) قاصر علـى تناسـب الآيات والسور ؟ كلا. فللتناسب أنواع أخرى ، كما سيتحدث البحث بعد ذلك إن شاء الله.

الفرق بين التناسب وبين غيره

يطلق على هذا المبحث (التناسب اللفظي) أو (علم المناسـبة) وهـو -بهـذا الإطلاق- يلتبس عند البعض مع مبحثين آخرين ، مبحث المتشابه اللفظي ، ومبحث مناسبات النزول أو أسباب النزول، ووجه الاشتباه بينه وبـين الأول من حيث الموضوع ووجه الاشتباه بينه وبين الثاني من حيث الاسم .

وحتى يزول هذا الالتباس -بين موضوعنا وبين المبحثين الآخرين- لابد من الحديث عن كل منهما بشيء من التفصيل ..

أولا : المتشابه اللفظي : ومعناه : تشابه موطنين أو أكثر من القرآن الكريم ، بأن تكون الكلمات واحدة -مع اختلاف مواضعها في النص- أو المعنـى واحداً (في الظاهر)والألفاظ مختلفة([1]).

---

[1]) قلت : أما ما عده الزركشي رحمه الله في برهانه في هذا الباب مما جاء على حرفين أو أكثر فهو داخل في باب التكرار لا في المتشابه . والله أعلم .

أو هو : إيراد القصة الواحدة أو الخبر الواحد فى صـــور شـــتى وفواصـــل مختلفة ، ويكثر فى إيراد القصص والأنباء . وحكمته : التصرف فى الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً ، "وجوه وروده

الأول : أن يكون فى موضع على نظم وفى آخر على عكسه. ومن أمثلته: فى سورة البقرة﴿ وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ﴾ ، وفى الأعـــراف : ﴿ وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴾

الثانى : ما يشتبه بالزيادة والنقصان .ومن أمثلته قوله ﷻ فى سورة البقرة ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ وفى يس ﴿ وسواء ﴾ بزيادة واو.

الثالث : ما يشتبه بالتعريف والتنكير : كقوله ﷻ في البقـــرة : ﴿ ويقتلـــون النبيين بغير الحق ﴾ وفى سورة آل عمران : ﴿ بغير حق﴾ .

الرابع : ما يشتبه بالجمع والإفراد .كقوله فى سورة البقرة ﴿ لن تمسنا النـــار إلا أياما معدودة ﴾ وفى آل عمران (معدودات) .

الخامس : ما يشتبه بإبدال حرف بحرف غيره . كقوله تعالى فى البقـــرة ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا ﴾ بالواو وفى الأعراف فكلا بالفاء .

السادس : إبدال كلمة بأخرى : ومن أمثلته قوله ﷻ في سورة البقرة ﴿ مـــا ألفينا عليه آباءنا ﴾ وفي لقمان ﴿ وجدنا ﴾ .

السابع : ما يشتبه بالإدغام وتركه ومنه : قوله ﷻ فـــى ســـورتي النـــساء والأنفال ﴿ ومن يشاقق الرسول﴾ وفى الحشر بالإدغام " ([1]).

---

[1]) البرهان في علوم القرآن (١/ ١١٣):

وبناء على ما تقدم فموضوع هذا المبحث : الألفاظ والتراكيب التي اشتبهت لفظاً واختلفت وضعا ، أو عدداً أو نوعاً ، في مواضعها المختلفة من القرآن الكريم أما موضوع علم التناسب اللفظي فهو وجه مناسبة هذا اللفظ بذاته – دون غيره مما يشترك معه في المعنى– في موطن بذاته .

ثانيا : مناسبة النزول :

ويشتهر هذا المبحث بين أهل الاختصاص ب(أسباب النزول)، وتسميته بمناسبة النزول أليق ؛ إذ إن مفهوم السبب " لُغَةً مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إلَى غَيْرِهِ وَعُرْفًا مَا يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِهِ الْوُجُودُ وَمِنْ عَدَمِهِ الْعَدَمُ لِذَاتِهِ " ([1]) وهو أمر غير مقبولٍ أن يتوقف نزول القرآن على حدوث بعض الأمور في دنيا الناس ، فماذا لو لم تحدث ؟ ألم يكن القرآن لينزل ؟ بلى ! كان سينزل . إذن فما حدث ليس سببا ، إنما هو مناسبة .

وإنما جرت تسمية هذا المبحث ب(أسباب النزول) لأسباب عدة ، أبرزها:

١– التفرقة بين مبحثي (مناسبة النزول) و (علم المناسبة) الذي نتكلم عنه .

٢– أن الصيغ المعتبرة في معرفة (مناسبة النزول) هي تلك التي يصرح فيها الراوي بلفظ السبب كأن يقول : سبب نزول قوله ﷺ كذا ، كذا وكذا. أو يرد فيها التعبير بفاء السببية ، كأن يقول الراوي : حدث كذا على عهد رسول الله ﷺ فنزل كذا .

وبالتالي فهناك تشابه واضح بين هذين المبحثين ، حيث إن مبحث مناسبات النزول يتحدث عن مناسبة الآية وقت نزولها لما نزلت من أجله

---

[1]) تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٢/ ٤٨)

، بينما علم المناسبة يتحدث عن مناسبة الكلمة أو الآية أو السورة لجارتها ، أيضاً "إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى ، وتفسير الآية ، فمعرفة المناسبة بين الآيات تساعد كذلك على حسن التأويل ، ودقة الفهم ، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات ، وترابط أفكارها ، وتلاؤم ألفاظها " . ([1])

فائدته:

١ -فهم التناسب يجعل أجزاء الكلام آخذاً بأعناق بعض ليصبح كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وبه يعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم وهو سر البلاغة.

٢ -دفع إيهام الاختلاف عن الآيات الكريمة، فقد يظن بعضهم أن الآيات نزلت في أوقات متباعدة وفي موضوعات متعددة فلا رابط بينها .بل إن هذا الترابط بين الآيات والسور لون من ألوان البيان المعجز على الرغم من تباعد الزمان واختلاف الموضوعات، فالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم حقيقة ثابتة في كل سورة منه ، وفي ذلك رد على ما ادعته الموسوعة الإسلامية الاستشراقية التي زعمت ضعف الصلة بين آيات القرآن وسوره ، إذ ورد فيها : " تتألف معظم السور القرآنية من مقاطع ذات صلة ضعيفة فيما بينها، وغالبا ما لا يوجد صلة ظاهرة أو قوية فيما بينها" .

٣ -إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم للوصول إلى الحقيقة المطلقة وهي أن القرآن الكريم كلام الله المنزّل، وليس من تأليف البشر تصديقاً لقول

---

[1]) المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها د. سامي عطا حسن (ص: ١٣)

الله ﷻ ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا﴾

٤" -دلالة لغوية قوية في التعرف على المراد من الآيات ورفع اللبس عن قصدها، ومرجح قوي من مرجحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها، سواء منها ما جاء في آيات الأحكام، أو آيات القصص القرآني،أو آيات الوعظ والتوجيه وغيرها. وقد أكد أهل العربية هذا الأصل، فقالوا: " قد تحدث أشياء توجب تقديم غير الأصل على الأصل للتشاكل، وهو ما يوجب الموافقة ."

وستأتي الأمثلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا البحث بإذن الله.

أنواع المناسبات :

تتصرف الأذهان للحظة الأولى عند سماع كلمة (المناسبة) إلى مناسبة نزول الآية وهو المعروف عند المفسرين بمبحث أسباب النزول ، وقد تتصرف الأذهان إلى (مناسبة الآية لما قبلها)، كعنصر من عناصر التفسير التحليلي ، أو إلى (مناسبة السورة) لما قبلها ، إن كان التفسير في مطلع سورة، والحق أن الفهم الأول خاطئ -وقد بينا سبب وقوع هذا اللبس فيما سبق- ؛لأنه يأخذنا إلى موضوع غير موضوعنا ، كما أن الفهم الثاني فهم قاصر ؛ لأنه يحصر أنواع المناسبات في نوعين اثنين ، والأمر ليس كذلك ، إذ إن هناك أنواعا أخرى للمناسبات ، لا تقل أهمية عن مناسبة الآية أو السورة ، بل لا أكون مبالغا إذا قلت إن الحديث عنها أهم وأكثر تأثيرا ، ويكفي أن أحدا من العلماء -ممن رجعت إليهم قديما وحديث- لم ينف وجودها ، على حين أن هناك من رفض فكرة التناسب بين (الآيات والسور) كما تقدم .

ومن هذه الأنواع : مناسبة الحركات ، ومناسبة الحروف ، ومناسبة الكلمات ، ومناسبة الصورة ، ومناسبة الصوت ، ومناسبة الرسم ، ومناسبة السياق .

وكل نوع من هذه الأنواع تحته سفر طويل من الأمثلة القرآنية ، سيأتي بعض منها إن شاء الله أثناء البحث .

كيفية إيجاد المناسبة :

بدايةً .. لابد من التنبيه على أن المناسبة بين أجزاء القرآن موجودة دون تكلف ولا تعسف ؛ لأن القرآن نزل كله جملة واحدة مرتين ، قبل نزوله مفرقاً إلى رسول الله ﷺ ، وبهذا الكلام رد (الباحثُ) القولَ باستبعاد وجود المناسبة بين آيات القرآن وسوره ، استنادا إلى التنزل الأخير للقرآن .

كما أن فهم المناسبة بين الآيات لا يقع لأي أحد ، بل لابد من أمور ينبغي معرفتها ليتوصل بها إلى المناسبة ، ومن هذه الأمور :

أولاً : حفظ القرآن الكريم ، حفظا يُمكِّن صاحبه من استدعاء سائر النصوص التي تساعد على فهم النص الذي معه ، ويمكنه كذلك من استدعاء الآيات والسور السابقة واللاحقة للآية أو السورة التي يتحدث عنها .

ثانياً : معرفة مناسبات النزول –إن وجدت– ؛ لأن ذلك يساعد على فهم النص فهما سليماً .

ثالثاً : المعرفة الجيدة بمفردات اللغة ، معنى ودلالة ومرادفات ؛ إذ إن فهم هذه المفردات يبعث التساؤلات في الذهن : لماذا كانت هذه اللفظة دون غيرها ؟ ولماذا هذا الحرف دون غيره ؟ وهذا هو لب التناسب.

رابعاً : فهم المعنى العام الذي تدور حوله الآية ؛ لأن كل معنى له لفظ يختص به في اللغة .

خامساً : مطالعة كتب التفسير اللغوي والبلاغي للمفسرين السابقين ؛ فـذلك يعين على فهم النص أولاً ، كما يفتح للباحثين إشارات ، قد تـساعدهم فـي الوقوف على المناسبة .

الفصل الثاني

أنواع المناسبات

ويشمل خمسة مباحث ..

المبحث الأول : مناسبة الصوت .

المبحث الثاني : مناسبة الحركة .

المبحث الثالث : مناسبة الحرف .

المبحث الرابع: مناسبة الكلمة .

المبحث الخامس: مناسبة الصورة .

المبحث السادس : مناسبة الرسم .

المبحث السابع : مناسبة الآية .

المبحث الثامن : مناسبة السورة .

المبحث الأخير : مناسبة السياق .

المبحث الأول : مناسبة الصوت

أمرنا الله ﷻ بترتيل القرآن ، قال ﷻ ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ ([1]) وقال ﷺ ﴿ زينوا القرآن بأصواتكم ﴾ ([2]) وفي الالتزام بهذا التكليف –إضافةً إلى أنه أدبٌ مع القرآن– إظهار لوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم في تناسب أصواته ، فالتناسب الصوتي أقصد به ...

ما ورد في القرآن الكريم من أحكام تجويد ، تدعونا إلى الغنة أحيانا ، وإلى عدمها أحيانا أخرى .. والتي تتنوع إلى إظهار وإدغام وإخفاء وإقلاب ، وتفخيم وترقيق .

وكذا ما ورد في طريقة قراءة القرآن من وقف ووصل ، ومد وقصر ، وروم وإشمام ، وإمالة ، وتسهيل الهمزة.ونحوها ، ومن أمثلتها :الإمالة في (مجراها) ، والسكت في (من راق ، وبل ران ، وعوجا ، ومرقدنا) ، والإشمام في (تأمنا) ، والوقوف بالألف الزائدة على (السبيلا) وإثبات الياء وحذفها في (المهتدي) ،

وكذا ما ورد من مخالفة لهذه الأحكام في بعض المواطن كإدغام الباء في الميم في (اركب معنا) والأصل إخفاء الميم إذا سكنت ووقع بعدها باء .

وممن كانت عنايتة بتدبر وتذوق القيم الصوتية : جرسا وإيقاعًا في البيان القرآني على نحوٍ متميز " سيد قطب" ولا سيّما في كتابه" التصوير الفني في

---

[1]) المزمل : ٤

2) صحيح : سنن أبي داود بَابُ اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ حديث رقم ١٤٦٨ (٢/ ٧٤)

القرآن " وتفسيره " في ظلال القرآن " وهو يقرر أن " التصويرَ هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن " ([1])

" وقد سعى البعض إلى نسبة الإعجاز -إعجاز القرآن- إلى ما في لغة القرآن من موسيقى"([2])

ولنأخذ الآن في التطبيق على بعض الأمثلة :

- **الإمالة في (مجراها) في قوله ﷻ ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [هود: ٤١]**

يتردد الصوت في هذه الكلمة بين (الألف) وبين (الياء) وبينهما اتفاق في الطبيعة ، واختلاف في الشكل ، فيتفقان في أن كلا منهما حرف مد ، وينفرد (الياء) بكونه أحيانا حرف لين .

ويختلفان في الشكل إذ يرسم الألف هكذا (ا) بينما ترسم الياء المفردة هكذا (ي) ، وطريقة القراءة تتطلب منا أن نقرأ الكلمة بصوت متردد بين هذين الحرفين .

إن هذه الطريقة المتبعة في قراءة هذه الكلمة تحديدا -لِينطلق اللسان بصوت (الألف) فيجعله أقرب إلى (الياء)- لَتشير إلى أمرين هامين ، الأول : طبيعة سير الفلك أنها لا تسير في خط مستقيم كالألف (ا) بل تسير في خط منحنٍ كالياء (ي)،

كما أنها لا تسير بارتفاع ثابت كما يرسم الألف (ا) ؛لأنها لا تسير على أرض- بل تسير في انخفاض وارتفاع ، تبعا لحركة الموج من تحتها وكذلك

---

1) العزف على أنوار الذكر (ص: ٢٤٧):

2) دراسات ومحاضرات في علوم القرآن (ص: ١٤٩):

الياء (ي). الأمر الثاني : مدى استسلام هذه السفينة لأمر الله الذي يجريها ، فقد استسلم لفظها (حرف المد) وصار -تقريبا- حرفا لينا "وهذا تعبير عن تسليمها للمشيئة في جريانها ورسوها ، فهي في رعاية الله وحماه . . وماذا يملك البشر من أمر الفلك في اللجة الطاغية بله الطوفان؟!" ([1]).

- **تقديم هارون عليه السلام على موسى عليه السلام في سورة طه[طه: ٧٠]**

قال تعالى ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾

في أحد عشر موطنا من القرآن ،اجتمع فيهما ذكر موسى وهارون، تقدم ذكر موسى على هارون ، وهذا طبيعي باعتبار أنه -أي موسى- أسن من هارون ، لكن في هذا الموطن -وفيه فقط- يتقدم ذكر هارون على موسى عليهما السلام ، فما الحكمة ؟ !

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله : "ونعلم أن موسى عليه السلام هو الأصل ، ثم أُرسِل معه أخوه هارون ، ولما عرضَ القرآن موقف السحرة مع موسى حكى قولهم :{آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وموسى} وقولهم : { آمَنَّا بِرَبِّ العالمين * رَبِّ موسى وَهَارُونَ } [الشعراء : ٤٧٤٨] .

لذلك كانت هذه المسألة مثارَ جَدَل من خصوم الإسلام ، يقولون : ماذا قال السحرة بالضبط؟ أقالوا الأولى أم الثانية؟

ولك أن تتصور جمهرة السحرة الذين حضروا هذه المعركة ، فكان رؤساؤهم وصفوتهم سبعين ساحراً ، فما بالك بالمرؤوسين؟ إذن : هم كثيرون ، فهل يُعقل مع هذه الكثرة وهذه الجمهرة أن يتحدوا في الحركة وفي القول؟ أم يكون لكل منهم انفعاله الخاص على حَسْب مداركه الإيمانية؟

---

[1]) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٧)

لا شَكَّ أنهم لم يتفقوا على قول واحد ، فمنهم مَنْ قال { آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وموسى } وآخرون قالوا :{ آمَنَّا بِرَبِّ العالمين * رَبِّ موسى وَهَارُونَ }.

كذلك كان منهم سطحيّ العبارة ، فقال { آمَنَّا بِرَبِّ العالمين * رَبِّ موسى وَهَارُونَ } [الشعراء : ٤٧٤٨] ولم يفطن إلى أن فرعون قد ادّعى الألوهية وقال أنا ربكم الأعلى فربما يُفهم من قوله { رَبِّ موسى وَهَارُونَ } [الشعراء : ٤٨] أنه فرعون ، فهو الذي ربّى موسى وهو صغير .

وآخر قد فطن إلى هذه المسألة ، فكان أدقَّ في التعبير ، وأبعد موسى عن هذه الشبهة ، فقال : { آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وموسى } [طه : ٧٠] وجاء أولاً بهارُون الذي لا علاقة لفرعون بتربيته ، ولا فضل له عليه ، ثم جاء بعده بموسى .

إذن : هذه أقوال متعددة ولقطات مختلفة لمجتمع جماهيري لا تنضبط حركاته ، ولا تتفق تعبيراته ، وقد حكاها القرآن كما كانت فليس لأحد بعد ذلك أن يقول : إنْ كان القول الأول صحيحاً ، فالقول الآخر خطأ أو العكس .

وما أشبه هذا الموقف الآن بمباراة رياضية يشهدها الآلاف ويُعلِّقون عليها ، تُرى أتتفق تعبيراتهم في وصف هذه المباراة؟ " ([1])

ولعله رحمه الله اعتبر القائلين في هذا الموقف الذين اختلفت عباراتهم ، فعبر كل منهم بطريقته التي تؤدي ذات المعنى الذي قاله غيره ،

غير أن ما في القرآن الكريم من كلام الناس ليس عبارات نقلها القرآن عنهم ، إنما هو عبارات حكاها عنهم ، وفرق بين النقل وبين الحكاية ، فالنقل أن

---

[1]) تفسير الشعراوي (ص: ٥٧١٧)

تنقل الكلام كما قاله صاحبه بحروفه وكلماته ، والحكايـــة أن تنقـــل الكـــلام بأسلوبك أنت ، وإذا كان الموقف واحدا ، والذي قصه واحدا ﷻ ، فلماذا -في هذا الموطن تحديدا- اختلفت الحكاية ؟ هذا ما لم يجب عنه شيخنا رحمه الله ، وأظن -والله أعلم- أن ذلك لأمرين ، الأول : مراعاة لتناسب الصوت في السورة ، التي ختمت كل آياتها -تقريبا- بالألف اللينة ، وهو الموجود فـــي (موسى) لا في (هارون) . الأمر الآخر: طبيعة السورة التي بنيت خـــواتيم آياتها على حرف الألف اللينة ، يناسبها تقديم (هارون عليه السلام) ؛ لأنـــه ألـــين طبعا من موسى عليه السلام . فاللِّينُ رُوعِي مرتين ، مرةً في تأخير (موسى عليه السلام) وختامِ الآية به ، وأخرى في تقديم (هارون عليه السلام) والبدء به .

المبحث الثاني : مناسبة الحركة

ترد بعض الكلمات في القرآن الكريم ، من مادة واحدة ، وبتغيير في حركة بعض حروفها أو أحدها أو جميعها يتغير معناها ، فيؤثر التعبير بها في موضع ما بحركة معينة ، ويعبر بها في موطن آخر بحركات مختلفة .

ولا يقصد الباحث هنا إلى الحديث عن ذلك المصطلح المعروف عند البلاغيين بالجناس –وإن كان وروده أمرا طبيعيا في هذا البحث– إذ إن معناه أن تتماثل حروف الكلمتين حركة وترتيبا ويختلف معنى كل منهما مثل (قال ، وقال)الأول من القول والثاني من القيلولة، أو أن تتماثل الحروف ويتغير أحدها، مثل(تقهر ، وتنهر)، أو أن تتماثل حروفهما وترتيبها ، ويختلف معناهما مثل (تُمْنَى ، و نَمْنَّى) ([1])

أما تناسب الحركات فيعني الباحث به ،أن يكون المعنى واحدا ،ومادة الكلمة واحدة تقريبا، لكن تختلف حركة حرف في الكلمة لتناسب المعنى الذي تتحدث عنه الآية ،

وإليك الأمثلة :

- **التعبير عن (الموت) :**

نقرأ قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾

---

[1]) الجناس لون من المحسنات البديعية في علم البلاغة ، ومعناه أن يتفق لفظان في النطق ويختلفان في المعنى ، وينقسم إلى (لفظي ومعنوي) واللفظي ستة أنواع والمعنوي نوعان فقط ، وتفصيل ذلك في كتب البلاغة .

وقوله ﷻ في سورة المؤمنون ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) ﴾

نلاحظ أن كلمة (متُم) جاءت في الآيتين بحركة مختلفة في أولها ، حيث جاءت في الأولى مضمومة ، وجاءت في الأخرى مكسورة ، والمعنى واحد وهو مجيء اللحظة الفارقة بين الدنيا والآخرة التي تبدأ بالموت ،

والسؤال الآن لماذا جاءت الكلمة مضمومةً في (آل عمران) ، ومكسورةً في (المؤمنون) ؟

لمعرفة الإجابة عن هذا السؤال أشير إلى أن الحركات في اللغة العربية ذات دلالات ، فالضم معناه الرفع والجمع والقوة ، وهو حركة تدل على أن المتحلي بها لا يقع تحت تأثير شيء قبله كالفعل المرفوع وكالمبتدأ ، أو أن ما قبله مساو له في القوة ويمكن أن يحل محله كالخبر في الجملة الاسمية ، أو أن ما قبله محتاج إليه أصلا -وإن تأثر به- كالفاعل في الجملة الفعلية ، وبالتالي فهو أشرف أجزاء الجملة -اسمية كانت أو فعلية- والضم دليل عليه ، فالضم أشرف الحركات لأنه مرتبط بكل ما علا وشَرُف .

والكسر علامة الجر ، ويعبر عنه أحيانا ب(الخفض) وهو -أعني الخفض- تعبير ذو دلالة على مكانة المجرور في الكلام !! فهو تابع لغيره ، لا يملك إلا أن يتأثر به ، كالاسم المضاف أو الواقع بعد حرف الجر ، وكجمع الإناث -ومن طبيعتهن الضعف والتبعية للرجال غالبا- الذي ينصب ويجر بالكسرة !! وبالتالي فالاسم المجرور أضعف كلمة في الجملة و(الكسرة) دليل ضعفه ودنو مكانته ، فالكسر -من حيث الدلالة- أقل الحركات لأنه مرتبط بمن ضعفت منزلته في الكلام أو في الواقع !!

نعود الآن إلى الآيتين لنرى أن الكلمة التي وردت بضم الميم (مُتم) جاءت في سورة آل عمران ، في معرض الحديث عن الشهداء ، والشهداء هم أشرف الناس منزلة بعد النبيين والصديقين ، وأرواحهم في عليين .. في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ([1]) فهم قد حازوا الشرف في الدنيا والكرامة في الآخرة ، فموتهم ليس موتا عاديا ، كما قال ﷻ ﴿ {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران] أما الآية الأخرى فتتحدث عن ميتة عادية ، يموتها كثير من الخلق ، تنتهي بصاحبها في التراب في منخفض من الأرض !! فناسب التعبير معها بالكسر .

- **التعبير عن الأمر المستقبح ب (السوء) :**

وردت هذه الكلمة في مواطن عدة من القرآن الكريم أحيانا بضم السين –وهو الأكثر– وأخرى بفتحها ، فوردت بفتح السين في تسع مواطن : (دائرة

---

[1])عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله لم يحدثنا أحد قال أرواح الشهداء عند الله يوم القيامة في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها فيشرف عليهم ربهم فيقول الكم حاجة تريدون شيئا فيقولون لا إلا ان نرجع إلى الدنيا فنقتل مرة أخرى " . سنن الدارمي (٢/ ٢٧١)قال المحقق : إسناده صحيح

السوء) في موطنين ([1]) ،(قوم سوء) في موطنين ([2])، (ظن السوء) في موطنين ([3]) ، (مثل السوء) ، (امرأ سوء) ، (مطر السوء) مرة واحدة ([4])

يقول العلامة صديق حسن خان : " قال مكي: من فتح السين فمعناه الفساد والرداءة، ومن ضمها فمعناه البلاء والضرر، وظاهر هذا أنهما إسمان لما ذكر، ويحتمل أن يكونا مصدرين ثم أطلقا على ما ذكر.

وقال غيره: المضموم العذاب والضرر، والمفتوح الذم، وقرأ ابن كثير وغيره بضم السين وهو المكروه، قال الأخفش: عليهم دائرة الهزيمة والشر، وقال الفراء: دائرة العذاب والبلاء قال: والسوء بالفتح سؤته سؤاً ومساءة وبالضم اسم لا مصدر وهو كقولك دائرة البلاء والمكروه، قال الخفاجي: وبين الفتح والضم شبه طباق" ([5])

---

1) وذلك في قوله ﷻ {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة: ٩٨] وقوله تعالى {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ } [الفتح: ٦]

2) وهما في سورة الأنبياء ، في قوله ﷻ {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ} [الأنبياء: ٧٤] وقوله تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنبياء: ٧٧]

3) وذلك في موطنين في سورة الفتح ، تقدم أحدهما ، والآخر قوله تعالى {وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا } [الفتح: ١٢]

4) وهي على الترتيب : قوله تعالى {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [النحل: ٦٠] وقوله تعالى {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا } [مريم: ٢٨] وقوله تعالى {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ } [الفرقان: ٤٠]

5) فتح البيان في مقاصد القرآن (٥/ ٣٨٠)

والحق أن تطبيق هذه المعاني على كل المواطن التي ذكرت في القرآن -بفتح السين وبضمها- أمر يحتاج إلى تكلف ، وقد يطول بنا شرح ذلك بما يخرجنا عن دائرة البحث ؛ لذا يشير الباحث إلى ما فهمه من اختلاف الحركة في الكلمة فيقول -والله تعالى أعلم- : إن اختلاف حركة السين في هذه الكلمة أثَّر في نطق الكلمة تأثيرا بَيِّناً ، حيث عُدَّ حرف (الواو) -مع الفتح- حرف لين ، لا تمد الكلمة معه ، بينما عد الحرف ذاته -مع الضم- حرف مد واجب ، ففي الكلمة -بالفتح- معنى اللين والقصور والضعف ، وهي المعاني التي نلمحها حين نستعرض الآيات التسعة التي جاءت فيها الكلمة بفتح السين ... فالدائرة لينة الشكل ، ﴿ عليهم **دائرة** السوء ﴾ والمطر لين الملمس ﴿ أمطرت **مطر** السوء ﴾ ، والعقل -منشأ الظن- قاصر ، مهما بلغ من الكمال ﴿ وظننتم **ظن** السوء ﴾ ، والقوم-والمرء ، من باب أولى- مهما أوتوا من القوة فضعفهم ظاهر ﴿ إنهم كانوا **قوم** سوء ﴾ ﴿ ما كان أبوك **امرأ** سوء ﴾.

يستأنس لهذا التوجيه بأن هذه الكلمة -أعني (السوء) بالفتح- لم تقع إلا مجرورة بالإضافة -بعكس الأخرى التي اختلفت أحوالها وتغيرت مواقعها في الجملة- فكأنها روعي فيها معنى ما قبلها . والله تعالى أعلم .

- **التعبير عن رغد العيش ب(نعمة)**

وقد وردت بكسر النون ، وهو الأكثر في القرآن الكريم، كما وردت بفتحها ، وذلك في موطنين اثنين ، قال ﷻ في سورة الدخان ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ وقال ﷻ في سورة المزمل ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) ﴾

وببيان معنى النعمة يتضح سر فتحها في الموطنين ، جاء في كتب اللغة :

"(النِّعمة) واحدة (النِّعم) و(النَّعمة) بالفتح التنعُّم يقال : " كم ذي نِعمة لا نَعمة له " أي : كم ذي مالٍ لا تنعّم له . ويقال : نَعِم عيشُه : إذا طاب . وفلان يَنْعم نَعْمةً : أي يتنعَّم من باب لبِس " ([1]).

"النَّعْمة ، بِالفَتْح : التَّنَعُّم ، وبالْكَسْر : الإِنْعامُ " ([2])

إذن فالنعمة بالفتح التنعم بالنعمة ، والنعمة بالكسر هي الإنعام .

والمتتبع لكلمة (النعمة) بالكسر يجدها منسوبة إلى المنعم بها ، سواء كانت من البشر ، كما في قوله ﷻ ﴿ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾ أم من الله ﷻ كما في سائر الآيات . أما النعمة (بالفتح) فمنسوبة إلى المنعم عليهم كما في الآيتين اللتين معنا .

إضافة إلى ما في معنى الكسر الظاهر في (النعمة) من انكسار الآخذ أمام المعطي وهكذا يجب أن تُتَلَقَّى النِّعمُ ؛ حتى تدوم !! والله أعلم .

- **التعبير عن المكروه ب(كره) :**

وقد ورد تارة بفتح الكاف ، وتارة بضمها ..

فورد بالفتح في الآيات التالية : قوله ﷻ { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣] وقوله ﷻ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا } [النساء: ١٩] وقوله ﷻ {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ} [التوبة: ٥٣] وقوله ﷻ { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ

---

[1]) المغرب في ترتيب المعرب (٢/ ٣١٠)

[2]) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٣/ ٥٠٢)

بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}[الرعد: ١٥] وقوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت: ١١].

وورد بالضم في قوله ﷻ {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ } [البقرة: ٢١٦]

وفي قوله تعالى {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا } [الأحقاف: ١٥]

جاء في (الكشف والبيان) : "وقال أكثر أهل اللغة : الكُره بالضم المشقة وبالفتح الإجهاد . بعضهم : الكره بالفتح المصدر ، وبالضم الاسم .

وقال أهل المعاني : هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما يدخل فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقّة وعلى الروح من الخطر لأنهم أظهروا الكراهة أو كرهوا أمر الله عزّ وجلّ" ([1]) .

ورغم تحفظ (الباحث) على ما نقله صاحب الكتاب عن (أهل المعاني) في هذا الموطن تحديدا، إلا أن السؤال الذي يطرحه البحث هنا : لم آثر القرآن التعبير بالضم في مواطن دون أخرى ؟

لعل المدقق في الآيتين –حيث ذكرت الكلمة بالضم– يجد أن ما تحدثنا عنه – أعني الجهاد في سبيل الله ، وحمل المرأة بولدها– وإن كان فيه مشقة كبيرة إلا أنها مشقة مرغوبة باختيار الإنسان ، يدل على ذلك النقل والعقل ، أما النقل فما ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال " ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة "

---

[1]) الكشف والبيان – تفسير الثعلبي (٢/ ١٣٧)

([1]) ، وأما العقل فواضح في محبة النساء لعاطفة الأمومة ، فما من امرأة سوية لا ترغب أن تكون أماً . ونظرا لما في حركة (الضم) من معنى الرفعة والعزة عبر بها القرآن في الحديث عن المقاتل في سبيل الله ، وعبر بها عن الأم التي هي أحق الناس بحسن الصحبة .

أما الكَره بالفتح -وبحسب ما ورد في الآيات- فمعناه المشقة المفروضة ، التي لا خيار للمرء فيها . والله تعالى أعلم .

---

1) وهذا نص البخاري . انظر : صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا (٤/ ٢٢) حديث رقم (٢٨١٧)

المبحث الثالث : مناسبة الحروف

وأقصد بالحروف هنا نوعين : الحروف المستقلة رسماً ومعنىً ، والحروف المستقلة معنى المتصلة رسماً .

فمن الأول : حروف العطف والجر والحروف الناسخة

ومن الثاني : بعض حروف الجر ، وكاف التشبيه ، والحروف الدالة على ضمائر الفاعلين ،

وكلها تأتي في القرآن في مواطنها ، ولا يجوز أن يحل حرف مكان آخر حتى وإن كان يعمل عمله الإعرابي ؛ لأن لكل حرف وظيفة إلى جانب الكلمة والسياق الكائن فيه ، ومن أمثلة ذلك :

- **ورود (الواو)** في قوله ﷻ ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ... ﴾ والأصل في جواب الشرط عدم دخول العطف عليه ؛

والسبب والله أعلم أن المعنى مع وجود هذا الحرف غير المعنى مع عدمه ، فإذا كان الحرف غير موجود -وهو الأصل في جواب الشرط- توقف الجواب على فعل الشرط ، كما قال ﷻ ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ ، وكما قال في حق الكافرين ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ فكأن الثاني لا يحدث إلا بعد الفراغ تماماً من فعل الأول ،

وهذا المعنى غير وارد مع ذكر الواو فكأنه ﷻ لما قال ﴿ إذا جاءوها وفتحت ﴾ ألغى كون فتح الأبواب متوقفاً على مجيئهم إليها ، فكأنها مفتوحة أصلاً لهم كما قال ﷻ ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾

أضف إلى ذلك أن الجنة نعيمُ وثوابُ المؤمنين في الآخرة ، ولا شك أن في إيقافهم -انتظاراً لهذا الثواب وتلك المكافأة- حرماناً لهم ، وما كان هذا المعنى يستفاد من الآية لو وردت بغير الواو ، أما وقد وردت بالواو فقد أدخلت الجواب في الشرط فلا فاصل بينهما ، بعكس الحال مع أهل النار الذين يعذبون بانتظار العذاب قبل ما يدخلون فيه فلذا أورد الكلام معهم على الأصل فلم يذكر الواو فقال ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾

● **نحشرهم ، ويحشرهم**

قال ﷻ {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [الأنعام: ٢٢] وقال ﷻ {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [سبأ: ٤٠]

فقد اختلف التعبير في الموطنين بحرفٍ دال على ضمير الفاعل في الجملة ، التقدير في الأول نحن وفي الثاني هو .

ونتساءل ما السر ؟ فالجواب : إنها المناسبة ، وبيانها :

أن الكلام في سورة الأنعام قبل هذه الآية كان عن الشهادة ، إذ يقول ﷻ {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

وأي شهادة تستلزم الحضور فيها ، والعلم بمضمونها ؛ ولذا عبر بعدها بضمير المتكلم الحاضر (نحشرهم) أي نحن نحشرهم .

أما في سبأ فالكلام قد سبق عن استحقاق بعض الناس للعذاب : ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ ، ومثل هؤلاء ليسوا أهلا لأن يكرمهم الله بتقريبهم منه ؛ لذا عبر بضمير الغيبة الذي يوحي بالإعراض عنهم كلية ، كما يدل على ذلك قوله ﷻ ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ [المطففين : ١٥]. والله تعالى أعلم .

- **حرف القسم مع لفظ الجلالة خاصة**

استعملت حروف ثلاثة مع لفظ الجلالة في حالة القسم وهي (الواو والباء والتاء) وقد وردت الثلاثة في القرآن الكريم قال ﷻ {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } [الأنعام: ٢٣] وقال ﷻ {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} [يوسف: ٧٣] وقال ﷻ {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ } [التوبة: ٥٦] على أن القسم بالواو –وهو الأشهر في اللغة– هو الأقل استعمالا في القرآن الكريم ، حيث لم يرد –مع لفظ الجلالة– إلا مرة واحدة ، والقسم بالتاء كثير في اللغة غير أنه لم يرد في القرآن إلا في تسعة مواطن ، أما القسم بالباء فقد ورد فيما يزيد على عشرة مواطن ، والذي وقف الباحث عليه في تنوع هذه الحروف –في القسم مع لفظ الجلالة– بشكل عام ، أن الواو هي الأصل في القسم ؛ فلا نسأل عن سبب دخولها على المقسم به ، وأن التاء "تختص بالقسم في شيء متعجب منه" ([1]) ، وأن القسم بالباء يلزمه أن يسبقه فعل يتعدى بالباء أو بغيره ، ويصح –دون غيره– أن يكون جوابه جملة إنشائية " لا يمكن أن يكون جواب القسم طلب أو إنشاء إلا أن يكون جواب القسم بالباء (بالله عليك افعل) أو

---

[1]) التحرير والتنوير ــ الطبعة التونسية (١٩/ ١٥٣)

(بالله عليك لا تفعل) (بربّك هل فعلت؟) أما في غير الباء فلا يكون جـواب القسم طلبياً" ([1]).

وبتطبيق هذه الأمور على الآيات التي جاء فيها حرف القسم باء ، نجـد أن كلها مسبوقة بفعل، ظاهر أو مقدر فمن الظاهر قوله ﷻ {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} [الأنعام: ١٠٩] وقوله ﷻ {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُـمْ لِيُرْضُوكُمْ } [التوبة: ٦٢]

ومن المقدر قوله ﷻ {فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الـصَّادِقِينَ} [النـور: ٦] والتقدير : فليشهد أحدهم أربع شهادات ، ويقويه الآية التي بعـده : {وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } [النور: ٨] .

فحيث سبق القسم بفعل دخلت عليه الباء ،

وحيث كان المقسم عليه محل عجب ومثار دهشة كان الحرف الداخل علـى المقسم به هو التاء، كما في قوله ﷻ {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ} [يوسف: ٧٣] فإنهم أبناء نبـي ، فكيـف يُتَّهمـون بالسرقة ؟!!

وقوله ﷻ {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًـا أَوْ تَكُـونَ مِـنَ الْهَالِكِينَ } [يوسف: ٨٥] فقد تخلصوا من يوسف عليه السلام بأيديهم وقد مضى على ذلك زمن طويل ، فكيف يأمل يعقوب عليه السلام في لقائه مرة أخرى ؟!! وهكذا .

والله تعالى علم .

---

[1]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: ٦٤٧)

المبحث الرابع : مناسبة الكلمة ([1])

تشترك كلمات عدة في الدلالة على مقصود واحد ، قد يصلح التناوب بينهـا في كلام البشر ، لكن الأمر مع كلام الله ﷻ مختلف ؛ لأن البشر قد تفـوتهم الفروق اللطيفة بين كلمتين متحدتي المعنى ، وسبحان من لا تخفـى عليـه خافية ،

ومن يتأمل كلمات القرآن خاصة تلك التي لها أخوات تقترب من معانيها يجد أن كل كلمة وضعت في مكانها المناسب ، ولا يصلح غيرها أن يكون بديلا عنها ، وهذا هو مفهوم (مناسبة الكلمة) الذي يدور الحديث عنه الآن .

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

- **الزوج والمرأة والصاحبة**

استعمل القرآن الكلمات الثلاثة للدلالة على وجود العلاقة الشرعية بـين رجل وامرأة

فعبر ب(امرأة) –دالة على هذا المعنى– في واحد وعشرين موطنا ،

وعبر ب(زوج) –دالة على هذا المعنى– في أكثر من ثلاثين موطنا،

كما عبر ب(صاحبة) في أربعة مواطن..

والذي يلمحه الباحث في النظرة الأولى لهذه الكلمات الثلاثة ، أن إحداها عام والثاني أخص منه والأخير أخص منهما ،

---

[1]) لعل في الأمثلة التي أسوقها على هذا المبحث دليلا لمن قال –من العلماء– بوجود (الترادف) في القرآن الكريم .

فكلمة (امرأة) تطلق على المتزوجة وعلى غير المتزوجة كما في قوله ﷻ ﴿ ووجد من دونهما امرأتين تذودان ﴾ ،

وكلمة (زوج) تطلق على الرجل والمرأة كما في قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ .

أما كلمة (صاحبة) فهي وصف للمرأة المتزوجة خاصة التي تستقل بنفسها .

والنظرة الثانية تجعلنا نذكر الفرق بين الزوج والمرأة ،

فعند استقراء الآيات القرآنية التي جاء فيها اللفظان ، نلحظ أن لفظ "زوج" يُطلق على المرأة إذا كانت الزوجية تامّة بينها وبين زوجها ، وكان التوافق والاقتران والانسجام تامّاً بينهما ، بدون اختلاف ديني أو نفسي أو جنسي..

فإن لم يكن التوافق والانسجام كاملاً ، ولم تكن الزوجية متحقّقة بينهما ، فإن القرآن يطلق عليها "امرأة" وليست زوجاً ، كأن يكون اختلاف ديني عقدي أو جنسي بينهما..

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ وهذا في الزوجية التامة .

وبهذا الاعتبار جعل القرآن حواء زوجاً لآدم ، في قوله ﷻ ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ . وبهذا الاعتبار جعل القرآن نساء

النبي ﷺ (أزواجاً) له ، في قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾

فإذا لم يتحقّق الانسجام والتشابه والتوافق بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمّي الأنثى "امرأة" وليس "زوجاً". "

قال القرآن : امرأة نوح ، وامرأة لوط ، ولم يقل : زوج نوح أو زوج لوط ، وهذا في قوله ﷻ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ إنهما كافرتان ، مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي ، ولكن كفرها لم يحقّق الانسجام والتوافق بينها وبين بعلها النبي . ولهذا ليست "زوجاً" له ، وإنما هي "امرأة" تحته.

ولهذا الاعتبار قال القرآن : امرأة فرعون ، في قوله ﷻ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ﴾ . لأن بينها وبين فرعون مانع من الزوجية ، فهي مؤمنة وهو كافر ، ولذلك لم يتحقّق الانسجام بينهما ، فهي "امرأته" وليست "زوجه" "

والنظرة الأخيرةُ على كلمة (صاحبة) ،التي استعملها القرآن للدلالة على وجود الاستقلالية سواء من ناحية الزوج أو من ناحية الزوجة ، ولهذا نفى القرآن الكريم عن الله ﷻ اتخاذ الصاحبة ؛ لاستغنائه تعالى بدايةً عنها ، كما عبر بها في موقف الافتداء يوم القيامة ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه ﴾؛ وذلك لاستقلال كل منهما بالعمل في الدنيا وبالحساب في الآخرة . والله أعلم .

- **الوالدان والأبوان**

وهما كلمتان تدلان على الأصل القريب لنشأة الإنسان ، فكل إنسان لـه والدان أو أبوان ، وقد استعمل القرآن الكلمتين ، فعبر ب(الأبوين) في سبعة مواطن ، وعبر ب(الوالدين) في عشرين موطنا .

ولنا -كأهل اختصاص- أن نقرر أولا أن الأبوين أعم من الوالدين ، فكل من كان في نسب الشخص من جهة أبيه فهو أب ، وكل من كانت في نسب الرجل من جهة أمه فهي أم ؛ ولذا عبر القرآن عن الأسرة الأولى (آدم وحواء) بالأبوين ، قال ﷻ ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ . فهما أبوان لكل البشر .

ثم نذكر القارئ ثانيا بأن (الأبوين) مُثَنًّى ، مفرده (أب) فالمعتبر فيه الرجل لا المرأة ، كما أن (الوالدين) مثنى ، مفرده (والدة) فالمعتبر فيه المرأة لا الرجل .

ومن يتتبع استعمال القرآن -ويستحضر هاتين الحقيقتين معه- يقف على أنه حيث كان نصيب الأب أكبر في الحديث ،عبر ب(الأبوين)، وحيث كان نصيب الأم أكبر عبر ب(الوالدين) . وانظر معي لقوله ﷻ ﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ فنصيب الأب أعظم في الميراث من نصيب الأم ، واقرأ معي قوله تعالى ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ فنصيب الرجل في الملك أكبر من نصيب امرأته ، أو أن أم يوسف عليه السلام كانت قد ماتت فكان الكلام عن الأب والخالة فناسب التعبير بالأبوين .

ثم اقرأ معي قوله تعالى ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ فلأن حق الأم في البر أعظم من الأب عبر بالوالدين ، ولذا اختص دعاء الأنبياء لآبائهم في القرآن بهذا اللفظ ، قال ﷻ ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾ ؛ لأن حق الأم أعظم .

- **المسيح .. عيسى .. ابن مريم**

والثلاثة يراد بها شخص واحد ، والقرآن الكريم أحيانا يعبر بكلمة واحدة منها ، وأحيانا يعبر بكلمتين ، وأحيانا أخرى يجمع الكلمات الثلاثة في موطن واحد !! يقول الدكتور فاضل السامرائي : " لو عملنا مسحاً في القرآن الكريم كله عن عيسى نجد أنه يُذكر على إحدى هذه الصيغ:

المسيح: ويدخل فيها المسيح ، المسيح عيسى ابن مريم، المسيح ابن مريم (لقبه)

عيسى ويدخل فيها: عيسى ابن مريم وعيسى (اسمه)

ابن مريم (كُنيته)

وحيث ورد (المسيح) في كل السور –سواء وحده أو المسيح عيسى ابن مريم أو المسيح ابن مريم– لم يكن في سياق ذكر الرسالة وإيتاء البيّنات أبدا ، ولم ترد في التكليف ، وإنما تأتي في مقام الثناء أو تصحيح العقيدة. ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) ﴾ (آل عمران) ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) ﴾ (النساء) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ

فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) ﴾ (المائدة) ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ (التوبة).

وكذلك (ابن مريم) لم تأت مطلقاً بالتكليف ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ (المؤمنون) ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) ﴾ (الزخرف).

أما (عيسى) -في كل أشكالها- فهذا لفظ عام يأتي للتكليف ، والنداء ، والثناء. فهو عام ..... ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ (المائدة) ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴾ (مريم) .

ولا نجد في القرآن كله آتيناه البينات إلا مع لفظ (عيسى) ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) ﴾ (الزخرف)

ولم يأت أبداً مع ابن مريم ولا المسيح.

إذن فالتكليف يأتي بلفظ عيسى أو الثناء أيضاً وكلمة عيسى عامة ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ (المائدة) فالمسيح ليس اسماً ولكنه لقب ، وعيسى اسم أي يسوع ، وابن مريم كنيته

واللقب في العربية يأتي للمدح أو الذم والمسيح معناها المبارك. والتكليف جاء باسمه (عيسى) وليس بلقبه ولا كُنيته " ([1]) . والأمثلة على ذلك كثيرة .

- **انفجرت وانبجست**

والفرق بين الانفجار والانبجاس أن "الانبجاس فيما يخرج من شيء ضيق والانفجار فيما يخرج من واسع غالبا " ([2])

وهذان لفظان يُفهِمان أن الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه قد خرج منه الماء ، غير أن القرآن عبر في موطن بلفظ ، وعبر في موطن آخر بغيره ..

قال ﷻ {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } [البقرة: ٦٠] وقال ﷻ {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } [الأعراف: ١٦٠]

والذي يمعن النظر في الآيتين يجد أن الذي استسقى في الآية الأولى هو موسى عليه السلام ، أما في الآية الثانية ففاعل الاستسقاء هم القوم ، فكانت الإجابة على قدر السائل ؛ إذ إن عطاء الله ﷻ لنبيه يفوق كثيرا عطاءه ﷻ للناس ، من هنا .. كان التعبير –حين كان فاعل الاستسقاء موسى عليه السلام – ب(انفجرت) ، الذي يشير إلى كثرة الماء الخارج من الحجر، سواء باتساع مخرجه أو بكثرة تدفقه واندفاعه، وحين كان فاعلُ

---

[1]) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص: ٧٤٦)

[2]) التعاريف (ص: ١١٥)

الاستسقاء بني إسرائيل –وهم من هـم فـي سـلوكهم– عبـر معهـم ب(انبجست)الذي يشير إلى عطاء أقل من معنى(انفجرت) .

المبحث الخامس : مناسبة الصورة

حفل القرآن الكريم بكثير من الأمثلة والتشبيهات ، لأفراد وجماعات ، وكان اختياره لهذه الأمثلة والتشبيهات متسقا تمام الاتساق ، ومتناسبا تماما مع من قيلت عنهم ،

كما عبر القرآن الكريم عن أحداث -سبقت نزوله أو عاصرته- عن طريق تصويرها تصويرا حيا شاخصا كأننا نراها رأي عين .

وهذان العنصران هما مقصود (الباحث) من هذا المبحث ، أي التصوير البياني ، والتصوير الفني، "وإن كان التصوير عند القدماء ينحصر فيما يُسمى بالصورة البيانية ، فعلم البيان -يشمل التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية- يُنسب إليه ما يُطلق عليه التصوير في كتب القدامى، التصوير أي الصورة البيانية " . ([1]) .

"وقد سعى البعض إلى نسبة الإعجاز إلى ما في لغة القرآن من موسيقى كما نسب البعض أسرار الإعجاز إلى التصوير البياني " ([2]) .

وقيمة هذا المبحث : أنه " يُبرز في الكلام صورة الواقع المتحدَّث عنه، حتّى كأنّه مُشَاهَدٌ ملموس بحركته وحياته ورونقه وجماله هو من أرفع الأدب وأجمله، وكم من واقع هو أجمل وأكمل من الخيال ". ([3]) .

<u>ومن الأمثلة على ذلك :</u>

- **تصوير الشرك ببيت العنكبوت**

---

[1]) الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة (ص: ٧٩)

[2]) في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص: ١٤٩)

[3]) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص: ٣٩)

قال ﷻ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

لماذا صور الله ﷻ الشرك ببيت العنكبوت ووصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت ؟

لعل ذلك -والله تعالى أعلم- لما هو معلوم عن بيت العنكبوت من مواصفات لا يصلح -معها- أن يسمى بيتاً أصلا ، من هذه المواصفات :

أولاً : أنه مبني على غير أساس ، فدائما تجده معلقاً في أسقف البيوت وعلى الأشجار ، ولا تكاد تجد عنكبوتاً قد بنى بيته على الأرض إلا في الغابات . وكذلك الشرك ، لا أساس له ، كما قال ﷻ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ١٠٩]

ثانياً : أنه بيت يخلو من الوفاء بين أفراده -حيث تستدير الأنثى على الذكر بعد أن يقوم بتلقيحها وتقتله ، ونادراً ما ينجو بحياته ، فإذا وضعت بيضها وخرج منه أولادها واشتد عودهم استداروا عليها فقتلوها وأكلوها ثم يقتل بعضهم بعضاً حتى لا يبقى إلا ذكر وأنثى- وكذلك الشركاء في الدنيا ﴿ بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ [الحشر: ١٧] وفي يوم القيامة أيضاً، يتبرأ بعضهم من بعضٍ ، ويلقي كل منهم باللائمة على الآخر ، كما قال ﷻ ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

ثالثاً: أنه بيت ضعيفٌ ،هشٌ ، لا يقوى على مواجهة أدنى عدوان عليه. وكذلك المشركون ؛ إذ قذف الله في قلوبهم الرعب إكراما لرسوله محمد ﷺ .

- **تصوير آكل الربا بالمجنون**

قال ﷻ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة:٢٧٥)

إذا نظرت في هذا التصوير الحي تجد أنَّ غرضه هنا "تصوير حال أكلة الربا تصويرًا لا يبقى ذو عقل معه إلا فارًّا من كلّ شائبة ربًا ، وإن أحاطت بـــه الحاجات فضلا عمَّا دونها .

إنك لا تجد أحدًا يوقن أنَّ هذا كلام ربّ العالمين يرضـــي أن يكـــون كمـــن يتخبطه الشيطان من المسّ إن في حياته الدنيا وإن في الأخرى ".(١)

" « التخبط » هو الضرب على غير استواء وهدى ، أنت تقول : فلان يتخبط ، أي أن حركته غير رتيبة ، غير منطقية ، حركة ليس لها ضابط " (٢)

ومن مظاهر هذا ، أنهم –أي أكلة الربا– **يتخبطون في كلامهم** " { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالوا إِنَّمَا البيع مِثْلُ الربا } فهل الكلام في البيع ، أو الكلام فـــي الربـــا؟ إن الكلام في الربا . وكان المنطق يقتضي أن يقول : « الربا كـــالبيع » ، فمـــا الذي جعلهم يعكسون الأمر؟

إن النص القرآني هنا يوحي إلى التخبط حتى في القضية التـــي يريـــدون أن يحتجوا بها . كأنهم قالوا : ما دمت تريد أن تحرم الربا ، فالبيع مثل الربا ، وعليك تحريم البيع أيضا .

وكان القياس أن يقولوا : « إنما الربا مثل البيع » ، لكن الحق ســـبحانه أراد أن يوضح لنا تخبطهم فجاء على لسانهم : إنما البيع مثل الربا فإن كنتم قـــد

---

[1]) العزف على أنوار الذكر (ص: ١٨٩)

[2]) تفسير الشعراوي (ص: ٧٥٩)

حرمتم الربا فحرموا البيع ، وإن كنتم قد حللتم البيع فحللوا الربا . إنهم يريدون قياسا إما بالطرد ، وإما بالعكس " ([1]).

ثم هم يتخبطون في تصرفاتهم ، ففي الربا تجد أن " المعدم الفقير الذي لا يجد ما يسد جوعه وحاجته يضطر إلى الاستدانة ، وهذا الفقير المعدم هو الذي يتكفل بأن يعطي الأصل والزائد إلى الغني غير المحتاج " (٢).

- **تصوير المهتدي بالراكب المتمكن من الدابة :**

في قوله ﷻ ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة: ٥)

إذ ترسم هذه الآية "صورة حية، واضحة المعالم، تعتمد على تمثيل حال المهتدي في ثباته وتمكنه من الحق ولزومه إياه، بالراكب على جواد، فاستعيرت هذه الهيئة للدلالة على حال المؤمنين، واكتفى التعبير القرآني باستخدام الحرف «على» الذي يوحي بالتمكن من الشيء والثبات عليه فالحرف هنا هو الذي يكوّن الصورة المرسومة في المخيّلة، وهذا كثير في الأسلوب القرآني . ومنه قوله تعالى: إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ الأعراف: ٦٦، فحرف الجر «في» يفيد الظرفية، وتركيبه في هذا السياق يوحي بصورة حية للضال الذي انغمس في الغي والسفاهة حتى لا يكاد يبصر.

وهكذا لاحظنا كيف أن الصورة القرآنية، مرتبطة بالسياق، الواردة فيه، لأداء الغرض الديني من وراء التصوير ولكن الصورة القرآنية ليست صورة شكلية وإنما هي فنية متولّدة من تفاعل عناصرها، وتلاحم الشكل بالمضمون، والفكر بالشعور، والغرض الفني بالغرض الديني، وهذا ما جعلها تكتسب هذه الخصوصية المتميزة في التعبير والتصوير والتأثير الديني." (٣).

---

[1]) تفسير الشعراوي (ص: ٧٦٥)

[2]) **تفسير الشعراوي (ص: ٧٦٣)**

[3]) وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ٧١):

- **تصوير المنافقين بالخشب المسندة**

قال ﷻ ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ (المنافقون : ٤)

وقد كان يمكن أن يكون التشبيه بأي جسم آخر غير أنهم (خشب) ، كما كان يمكن تصوير الخشب بهيئة أخرى غير أنها (مسندة) .. لكن القرآن اختار هذه الصورة للمنافقين ، وهي صورة مركبة من شكل وهيئة ، فالشكل : (الخشب) ، والهيئة : (المسندة)

وبالنظرة على الشكل ، نجد أن الخشب هي الجسم الوحيد الذي يتسلل إليه العطب من الداخل أولاً ، وإن بدا منظره الخارجي حسنا !! كالمنافقين ، فعيبهم في قلوبهم (أي من الداخل) وإن ظهر منهم حسن عبادة وحسن سلوك وحسن قول !!!

وبالنظرة على (المسندة) يأتينا انطباع بمدى الضعف الذي يسيطر على هذه الخشب حتى تتساند على بعضها ؛ ليتقوى بعضها ببعض ، وكذلك المنافقون يتقوى بعضهم ببعض ، ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]

المبحث السادس : مناسبة الرسم .

يجدر -في بداية هذا المبحث- التنبيه على الحقائق التالية :

أولاً : لا فرق بين رسم القرآن يومَ نزوله ، وتحت إشراف رسول الله ﷺ ، وبين رسم القرآن يوم جمعه بعمل الصحابة رضوان الله عليهم ؛ لأن عمل الصحابة كان جمع المكتوب بين يدي رسول الله ﷺ .

ثانياً : التأكيد على أن حفظ القرآن الذي وعد الله ﷻ به ليس فقط في حفظه في الصدور ، لكن أيضا في حفظه في السطور على هيئته التي كتب بها يوم نزل .

ثالثاً : أن رسم المصحف الكريم يخالف -في كثير منه- القواعد المتعارف عليها في الإملاء ، مما يجعل قضية رسم المصحف توقيفية .

رابعاً : أن القرآن كما أنه معجز بأسلوبه فهو معجز كذلك برسمه ، وجوانب الإعجاز -ومنها الرسم- لا تقع لغير الأنبياء .

خامساً : يذهب (الباحث) -بناء على هذه الحقائق المدعومة بأدلتها- إلى القول ببقاء أمية النبي ﷺ حتى يوم البعثة ؛ دفعاً لأي شبهة تطرأ على الوحي، وانتفاء أمية النبي ﷺ بعد البعثة ، من يوم نزل عليه قول الله ﷻ ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ ؛ ضماناً لسماوية القرآن منذ نزوله وحتى يومنا هذا ، وأن يد البشر لم تعمل فيه ، إلا بإقرار من السماء .

المقصود بمناسبة الرسم :

يقصد الباحث بهذا العنوان أمرين :

الأول :الكلمات التي اختلفت طريقة رسمها عن قواعد الإملاء حيث وردت في القرآن الكريم.

الآخر : الكلمات التي اختلفت طريقة رسمها من موطن إلى موطن .

نماذج إجمالية :

إن العقل يقف أمام طريقة رسم المصحف ، مذهولا دهشا ، وهو يرى: " رسم تاء التأنيث مفتوحة في (رحمة ، ونعمة ، وشجرة ، وامرأة ، وكلمة ،وسنة ، ومعصية، ولعنة ، وبينة ، وفطرة ، وجنة ، وقرة ، وغيابت) ، .. رسم (نِعْم) مجردة مخففة تارة وبالألف وتشديد الميم أخرى ،

حذف ألف الجماعة في (وجاءو على قميصه) ،

رسم (الصلاة) بالواو ،

رسم (إبراهيم) بغير ياء في البقرة حيث وردت ،

وصل (أين وما) في موضع في البقرة وفي النساء والنحل والأحزاب وفصلها في غيرها ، وصل (كي ولا) في النحل ،في أحد موطنين بالأحزاب وفصلها في غيرها ،

رسم الياء في تسعة مواضع أولها في آل عمران " أفإين مات أو قتل " وفي الأنعام " من نبإي المرسلين " وفي يونس " من تلقاءى نفسي " وفي النحل " وايتاءى ذي القربى " وفي طه " ومن ءاناءي اليل " وفي الأنبياء " أفإين متّ " وفي الشورى " أو من وراءى حجاب " وفي الذاريات " و السماء بنيناها بِأييد " وفي القلم " بأييكم المفتون " " و " ولقاءى الأخرة " وفي المصاحف أهل المدينة والعراق وغيرها "وملأيه" و"ملأيهم "في جميع القران بالياء بعد الهمزة"(١) ومثل ذلك كثير.

ولنذكر الآن مثالاً تطبيقياً على مناسبة رسم الكلمة في المصحف

---

1) المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني- (ج ١ / ص ١٥)

• رسم الياء في ﴿ و السماء بنيناها بِأييد ﴾

العامي –وبعضُ طلبة العلم– إذا سمع هذه الآية يظن أن (أيدٍ) في الآية جمع (يد) ، ويكاد يجمع المفسرون على أن معنى (بأيد) هنا هو القدرة والقوة ، ونقل بعضهم ذلك عن ابن عباس ﷺ وغيره ([1])

وكان من الممكن أن يُحْسَب هذا التفسيرُ تأويلاً مرفوضاً –أي تأويل اليد بالقدرة والقوة– لولا أربعةُ أمور ،

الأول : إجماع المفسرين من (أهل السنة) على هذا التفسير كالطبري والماتريدي والبغوي والقرطبي وابن كثير وغيرهم ، والتأويل ليس مذهبَ أهل السنة في آيات الصفات .

الثاني : كتب اللغة ([2]) التي تحدثت عن فعل ماضيه (آد) ومضارعه (يئيد) ومصدره (أيد) ك(باع يبيع بيعا) .

والأمر الثالث –والأهم– طريقة رسم الكلمة في المصحف ، حيث رسمت بياءين هكذا (بأييد)، وإنما زعم الباحث أن هذا هو أهم الأمور الثلاثة ؛ لأنه ليس كل قارئ للقرآن يطالع التفاسير ، وليس كل مطالع للتفسير يرجع إلى كتب اللغة ، لكن أحسب أن أي قارئ للمصحف ، يرى الكلمة بهذا الرسم، سيلتفت إلى اختلاف طريقة رسمها عن طريقة رسم كلمة (يد) التي تعني اليد

---

[1]) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤)

2) المحيط في اللغة لابن فارس (٢/ ٣٦٧) ما أوله الألف . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٢)كتاب الألف . المعجم الوسيط (١/ ٣٤)باب الهمزة .

الجارحة المعروفة . ولعل هذا -أعني التفريق بين (أيد) الاسم والمصدر- هو سر رسمها بياءين .

والأمر الرابع : التفريق بين (القوة) حين تنسب إلى الخالق وحين تنسب إلى المخلوق ، ومرد هذا الأمر ، أن كلمة (الأيد) بمعنى القوة أيضا قد وردت في القرآن الكريم منسوبة إلى نبي الله داود عليه السلام ، وذلك في قوله ﷻ ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ وقد رسمت في هذا الموطن -والحديث عن نبي الله داود عليه السلام- بياء واحدة .

المبحث السابع : مناسبة الآية

وهذا النوع ، وما بعده –تحديدا– هما اللذان انصب عليهما هجوم المعترضين على علم(المناسبة) ، وذلك لأن الآيات لم تنزل جملة واحدة ، ولم ترتب في المصحف كما نزلت ، وبالتالي فمحاولة الوصول إلى مناسبة بين هذه الآيات –مع بعد ما بينها زمانا ، ومع اختلاف موضوعاتها– محاولة لـربط غيـر المترابط ، وقد يؤدي بصاحبه إلى لي عنق الآيات لتتفق مع جاراتها ، وهذا أمر مرفوض ، وقد أجاب (الباحث) عن هذا الادعاء في غير موطن ، بمـا أغنى عن إعادته هنا .

وقد كثر كلام المفسرين في هذين النوعين ،حتى إنك لا تجد كتـاب تفـسير يخلو منهما ،

والبحث عن مناسبة الآية لما حولها لا يقتصر على الآية المجاورة لها –سابقة كانت أو لاحقة– بل يتعدى إلى آيات أخرى قد يكون الرابط فيها أقوى ؛ إذا الغرض الأساس أن تصب الآيات كلها في أمر واحد . ويظهر جمـال هـذا اللون في من عدة وجوه ..

أولاً : مناسبتها للآيات حولها رغم تباعد زمن النزول .

ومـن أمثلـة ذلـك :

* مناسبة قوله ﷻ ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا مـن الكتـاب يؤمنـون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ..... ﴾ [النساء: ٥١-٥٥]

لقوله ﷻ -بعد هذه الآيات- ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعًا بصيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

وبين الآيات السابقة وهذه الآية حوالي ست سنوات، وندرك بأدنى تأمل أن المناسبة بين الآيات جميعًا والربط بينها هو موضوع الأمانة والحفاظ عليها وأداؤها كما استلمها المؤتمن، فقد أخذ العهد والميثاق على أهل الكتاب إن أدركوا وقت بعثة محمد ﷺ أن يؤمنوا به وينصروه كما ذكره القرآن الكريم: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ .

فخان الأحبار هذه الأمانة ونقضوا الميثاق، بل شهد كعب بن الأشرف(الذي تتحدث الآيات الأولى عنه) شهادة الزور فقال للمشركين :أنتم أهدى سبيلاً من محمد...

فكأن الآية تنبه إلى أنه إن كان هؤلاء القوم قد خانوا الأمانة العظمى فاستحقوا عذاب الله الأليم، فلا تكونوا مثلهم، بل أدوا الأمانة إلى أصحابها ولو كان شيئًا صغيرًا مثل المفتاح في آل طلحة.

ثانياً : المناسبة بين آيات في سورة واحدة وموضوعاتها منوعة:

* في سورة البقرة جملة آيات متنوعة الموضوعات ..

فنقرأ قولهﷻ ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميت ﴾ ، وقولهﷻ ﴿

أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾ ،

وقوله﴿ ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ ، وقوله﴿ ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ ،

-فذكر في البداية قصة محاورة إبراهيم لنمرود..

-ثم قصة عزيز من بني إسرائيل ومروره على القرية..

-ثم طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى..

-ثم بيان مضاعفة أجر الصدقة وتشبيهها بالحبة التي تنبت سبع سنابل..

ولو دققنا في سياق الآيات لوجدنا خيطًا رفيعًا يربط بينها جميعًا .فالسياق هو بيان قدرة الله جل جلاله من خلال :الإحياء والإماتة اللتين زعم نمرود أنه يقدرعليهما وأراد أن يلبّس على الناس في ذلك.

فالصورة الأولى :الإحياء والإماتة في الإنسان :(فأماته الله مائة عام ثم بعثه...)

والصورة الثانية :الإحياء والإماتة في الحيوان: (وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا..) .

والصورة الثالثة :الإحياء والإماتة في الطير (قال فخذ أربعة من الطير فصرهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا ثم ادعهن يأتينك سعيًا).

والصورة الرابعة :الإحياء والإماتة في النبات (كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ...) .

والصورة الخامسة :الإحياء والإماتة في الأعمال(الأعراض..):(والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، (و) يآ أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) .

إذن : الإحياء والإماتة من خصوصيات الألوهية فهو الحي القيوم، المحيي المميت، وقد عرض لنا هذه الصور الخمس للحياة والموت لهذه المخلوقات المادية والمعنوية، وهي المناسبة التي ربطت بين الآيات جميعها .

ثالثاً : المناسبة بين آيات تخللت بين آيات في موضوع واحد:

* تجد في سورة آل عمران آيات في بيان أحداث غزوة أحد من قوله تعالى ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم... ﴾ ثم يأتي في أثناء الحديث عن الغزوة قولهﷻ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ .

ثم عودة إلى أحداث الغزوة وأخذ العظات والعبر منها بعد سبع آيات في التعقيب على آية الربا : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾

وقد يستغرب القارئ ويستبعد وجه المناسبة بين الآيات في سرد أحداث غزوة، وبين آيات في النهي عن أكل الربا .

وبالرجوع إلى أسباب النزول، ندرك أن حادثة الأصيرم كان سببها التعامل بالربا (1)

ولذلك جاء التعقيب على آية الربا بالمسارعة على التوبة والاستغفار وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين المنفقين أموالهم في السراء والضراء..

إذن فالحادثة من جملة الأحداث التي وقعت في غزوة أحد، فوضعت بين الآيات التي تتحدث عن الغزوة وعبرها والدروس المستقاة منها . ومن المعلوم أن معرفة سبب النزول يفيد في التعرف على المناسبة بين الآيات.

---

1) روى أبو داود في سننه -بسند رجاله رجال الصحيح- عن أبي هريرة ﷺ أن عمرو بن وقش ﷺ كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال :أين بنو عمي؟ قالوا :بأحد قال :أين فلان ؟ قالوا :بأحد، قال :أين فلان ؟ قالوا :بأحد .فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا :إليك عنا يا عمرو، قال :إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحًا فجاء سعد بن معاذ ﷺ ، فقال لأخته : سليه حمية لقومك أو غضبا لهم ؟ أم غضبًا لله ﷻ ؟ فقال : بل غضبًا لله ورسوله ﷺ ، فمات فدخل الجنة، وما صلى لله ﷻ صلاة . حديث حسن . رواه أبو داود: كتاب الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله عزوجل ٢/ ٢٤ .

المبحث الثامن : مناسبة السورة

ومن صوره :

أولاً : المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها :

وقد أفرد الإمام السيوطي رحمه الله تعالى رسالة عنوانها (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ، للكلام عن مناسبة فواتح السور لخواتمها، وقد سبق الإمام السيوطي في الإشارة إلى هذه المناسبات كل من الإمام الرازي وأبي حيان الأندلسي والبقاعي، فيقول أبو حيان مثلا: " وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله " ([1])

وفي كثير من السور تكون المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها واضحة جلية لا تحتاج إلى كثير عناء .

* ونستشف مثل هذا النوع من المناسبة في قول رسول الله ﷺ عن افتتاحية سورة الكهف وخاتمتها، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أبي الدرداء عن النبيﷺ قال ﴿ من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال﴾ ، وفي رواية أخرى عند مسلم عن شعبة قال (من آخر سورة الكهف)، وقال همام) (من أول الكهف) كما قال هشام ونعتقد أن الروايتين

---

[1]) انظر كلامه رحمه الله عن مناسبة افتتاحية سورة البقرة لخاتمتها، ط ١، ج :١، ص :٤١٩، النهر الماد من البحر المحيط، تحقيق عمر الأسعد/ بيروت :دار الجيل (١٩٩٥)،

الصحيحتين مقصودتان من الرسولﷺ وليس فيهما شيء من التباس الأمر على الرواة .فإننا عندما ندرس افتتاحية سورة الكهف وخاتمتها نجد القضايا المعروضة فيهما نفسها وزعت هنا وهناك.

فالحديث عن الكتاب (القرآن) ،ومنـــزل الكتـــاب (الله) ، والمنـــزل عليـــه (الرسول) ، وموقف الناس منه في الـــدنيا(المـــشركين (و) المـــؤمنين) ، ومصيرهم في الآخرة (جهنم) والأجر الحسن، (الفردوس) ، والقيمة الحقيقية للحياة الدنيا وما يجري فيها.

كل هذه القضايا ذكرت في افتتاحية الكهف، وذكرت مرة أخرى في خاتمـــة الكهف بأسلوبين مختلفين في غاية الإيجاز والإعجاز .فمن حفظ هذه القضايا والتزم بها وقرأها باستمرار كانت له عصمة من الدجال ومن فتنـــة الـــدنيا وزينتها .

ثانياً : المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

كثير من سور القرآن الكريم عرفت أسماؤها توقيفًـــا مـــن رســـول اللهﷺ وبعضها اشتهرت بوصفها، وبعض السور كان السلف يذكرها بالسورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وسأقتصر هنا على مثال واحد من السور التي نقلـــت أسماؤها عن رسول اللهﷺ لمعرفة المناسبة بين الاسم والمحور الذي تدور عليه السورة،

وتعيين هذا المحور اجتهادي لأن السورة إذا تناولناها مـــن زاويـــة محـــددة نستطيع أن نحدد المحور من زاوية الدراسة تلك، وقد يكون للسورة أكثر من محور.

وإن موافقة اسم السورة لمقصودها ومحورها هو ما أكده الإمام البقاعي بقوله" :وقد ظهر لي بعد وصولي إلى سورة سبأ أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تُظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه ... ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، وأطابق بينه وبين اسمها ."([1])

- **سورة البقرة** : لقد ذ كُر أكثر من عشر خوارق في هذه السورة من ضمنها خمس خوارق لإحياء الموتى، ولم تسم السورة بواحدة منها، وإنما سميت بحادثة البقرة في بني إسرائيل، قال ابن الزبير الغرناطي : "سميت البقرة بهذا الاسم لغريب قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة في أمرها "([2]) ،

وبإمعان النظر في أحداث قصة البقرة نجد أن أبرز صفات بني إسرائيل ذكرت فيها، مثل :الشك في الغيبيات، وسوء الظن بالأنبياء، والتردد في الالتزام بالشرائع، والتحايل للتفلت من التكاليف، وسوء الأدب في التعامل، والعجرفة والتعالي على المخاطبين.

وإذا علمنا أن الحديث عن بني إسرائيل ومواقفهم من أنبيائهم وترددهم في تطبيق شرائع التوراة وغيرها من انحرافاتهم، استغرق الحديث عن كل ذلك بضعًا وثمانين آية في سورة البقرة، حيث كشفت السورة حقيقتهم بذكر

---

[1]) البقاعي نظم الدرر، ج :١، ص :١٢ .

[2]) أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج :١، ص :٢٨.

أربعين مأخذا ومثلبة عليهم([1]) ، فكانت بمثابة مبررات لعزلهم عن القوامة على دين الله .

وبما أن دين الله لابد له من أمة تحمله عقيدة وتطبقه سلوكًا وتدعو إليه وتبلغه، أسندت القوامة على دين الله لأمة محمد ﷺ فذكرت بخير وكلفت بأحكام شرعية بلغت أربعين بابًا من أبواب الفقه، وختمت السورة بالشهادة لهذه الأمة أنها قامت بهذه التكاليف .إذن من خلال اسم السورة نستطيع أن نقول إن محور سورة البقرة هو(**القوامة على دين الله**) سلبا وإسنادا – أي سلب من بني إسرائيل وإسناد إلى محمدﷺ وأمته، وحادثة البقرة تشير إلى أسباب السلب من بني إسرائيل

ثالثاً : المناسبة بين اسم السورة واسم السورة التي تليها

ولك أن تنظر مثلاً إلى ...

مجاورة سورة (الجاثية) التي هي اسم من أسماء يوم القيامة لسورة (الدخان) الذي هو إحدى العلامات الكبرى ليوم القيامة !

ومجاورة السور التي تحمل أسماء أنبياء (يونس وهود ويوسف)!

ومجاورة السور التي تحمل أسماء أهوال يوم القيامة (التكوير والانفطار)!

ومجاورة السور التي تحمل محاب الإنسان ومواضع شهوته (النساء والمائدة والأنعام) !

---

[1]) ذكر الدكتور مصطفى مسلم في كتابه" :المحاور والمناسبات لسور القرآن الكريم " مبررات عزل بني إسرائيل عن القوامة على دين الله كما جاءت في سورة البقرة . راجع كتابه (المحاور والمناسبات لسور القرآن الكريم) ص :٦٠، ٦١ .

ومجاورة (النور للفرقان) !

ومجاورة (القمر) ل(النجم) وهما في السماء معاً !

ومجاورة (الماعون) وهو الإناء الذي يسقى فيه ل(الكوثر) وهو نهر في الجنة !!!

إلى غير ذلك من هذه الروابط والمناسبات بين أسماء السور .

رابعاً : المناسبة بين خاتمة السورة وافتتاحية ما بعدها

وقد اهتم كثيرا بإجلاء هذا النوع كلٌ من ابن الزبير الغرناطي في برهانه ، والبقاعي في نظم الدرر ([1]) .

وهذا التناسب نجده كما قال الزركشي في كل سور القرآن الكريم سواء منه المكي المتبوع بالمدني أو المدني المتبوع بالمكي، أو غير ذلك فقد قال : " وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها ، ثم هو يخفى تارة، ويظهرأخرى "([2]) وإليك الأمثلة ...

أولاً : المناسبة بين سورتين مكيتين:

١ –في خاتمة سور هود(المكية) نقرأ قوله تعالى: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾

وفي افتتاحية سورة يوسف المكية نقرأ قوله ﷻ ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون* نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ .

---

[1]) البرهان في ترتيب سور القرآن، ص :١٨١

[2]) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٨/١ .

أخبر المولى عز وجل في خاتمة سورة هود أن قصص الأنبياء مما يثبت به فؤاد رسوله وخليله محمدﷺ للاستمرار على دعوة الحق، وفي افتتاحية سورة يوسف جاءت قصة هي من أحسن القصص، وفيها من العظات والعبر والجوانب التربوية الشئ الكثير، وعلى الرغم مما لاقاه يوسف عليه السلام من الكيد له، كانت العاقبة والانتصار الباهر، فجاءه الذين أساؤوا إليه خاضعين طائعين معترفين بفضله، وفي ذلك تلميح لما ينتظر محمدًا عليه الصلاة والسلام من النصر والظفر له ولأصحابه، وقد كان ذلك فيما بعد، فكما قال إخوة يوسف له (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) ، فأجابهم يوسف عليه السلام(قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)قال أهل مكة لرسول اللهﷺ بعد أن ظفر بهم ودخل مكة فاتحًا وقال لهم : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم رسول اللهﷺ :لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء، فكان التثبيت والعظة والبشارة .

ثانيًا :المناسبة بين سورتين مدنيتين:

* جاء في خاتمة سورة (محمد) المدنية : ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومنْ يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾

وفي افتتاحية سورة الفتح المدنية ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا، وينصرك الله نصرًاعزيزًا ﴾

في خاتمة سورة (محمد) دعوة للإنفاق في سبيل الله، لأن المال عصب الحياة الجهادية، فبالمال يؤمن السلاح والعتاد ووسائل النقل وتأمين المؤن، فبالإنفاق يتحقق الفلاح للباذلين أولاً بالتخلي عن صفة البخل والشح ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ ([1]) ، ومن يتول عن الإنفاق ويصر على البخل فلا يكون أهلاً للنصر، فيستبدل الله بهم غيرهم، ولا يكونون على أخلاقهم وصفاتهم من الشح والبخل، وبالتالي يتحقق النصر على أيديهم ويتم الفتح، فتح النفوس أولا وفتح البلدان ثانيًا .

وفي افتتاحية سورة الفتح بشارة لرسول الله ﷺ ولأصحابه بالفتح المبين فقد كانوا أ هلاً لهذا الفتح **فتح النفوس** بإلزامها بشرائع الله والوقوف عند حدوده كما ترجمتها أحداث الحديبية، **وفتح البلدان** فيما بعد كما وعدوا في ثنايا سورة الفتح: (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون)

ثالثاً : المناسبة بين سورة مدنية وأخرى مكية:

* في آخر سورة التوبة المدنية وهي من أواخر مانزل من القرآن حيث نزلت بعد غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة نقرأ قوله ﷻ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾ ([2])

---

[1]) الحشر ١٠

[2]) التوبة :١٢٨،١٢٩.

فالحديث في خاتمة التوبة عن الرسول المرسل وهو من القوم أي من بني جلدتهم ويتكلم بلغتهم وهم على معرفة تامة بولادته ونشأته وأمانته وصدقه، وحرصه على هدايتهم، ويعزعليه عنادهم وإصرارهم على الكفر، هو شفوق عطوف على المؤمنين الذين قبلوا دعوة الحق وانصاعوا لأوامر الرب جل جلاله .وإن تولى المعاندون ولم يستجيبوا لدعوته فهو متوكل على الله مستمر على نهجه.

وفي افتتاحية سورة يونس المكية إنكار وتوبيخ لهؤلاء الناس الذين استغربوا وتعجبوا أن يوحى إلى رجل منهم من بني جلدتهم وبلغتهم ليقوم بتبليغ الناس رسالات ربهم، وينذر المعاندين الرافضين للحق بسوء العاقبة والمصير، ويبشر المؤمنين بمكانتهم الرفيعة وكرامتهم عند ربهم .فما بال القوم لا يستجيبون للحق بل يلغون عقولهم وتفكيرهم ومعلوماتهم عن الرسول فيقولون عنه إن هذا لساحر مبين، مع معرفتهم التامة بأصله ونشأته وصدقه وأمانته وحرصه على هدايتهم.

ولنقرأ افتتاحية سورة يونس المكية : ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم، أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ﴾

فهل توجد مناسبة أحكم وأجمل من هذا الربط بين خاتمة التوبة المتأخرة في النزول، وافتتاحية سورة يونس المتقدمة في النزول وبينهما أكثر من عشر سنوات.

المبحث الأخير : مناسبة السياق

والسياق : هو البيئة اللغوية أو غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتكشف معناه.

وأعني بالبيئة اللغوية :ما صاحب الكلمة من معطيات ظاهرة تحدد معناها والمراد بها ، ومن هذه المعطيات : النحو ، والصرف ، والبلاغة ، والأسلوب.، ويظهر معنى ما أقول حين تعرض لكلمة تحتمل أكثر من معنى ، فمراعاة هذه المعطيات (السياق) يساعد على تحديد المعنى المراد ، خذ مثلاً كلمة (اليد) في هذه الأمثلة:

له عليّ أيادٍ بيضاء : أي (نِعم) ، يدُ القوس : أي (أعلاها) ، يَدُ الرَّحَى: أي (العُود الذي يَقْبِض عليه الطَّاحِنُ) ، يد الباب: أي (مقبضه)، يد الريح : أي (سلطانها) ، يدُ الدَّهْر: أي (مَدُّ زمانه)

إن الذي ساعدك على تحديد المراد ب(اليد) في كل ما سبق هو السياق اللغوي .

أما البيئة غير اللغوية : فأعني بها العناصر غير اللغوية التي يكون لها دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام وذلك كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به .

وحين نقول إن القرآن الكريم قد راعى السياق فإنما نعني بذلك أن الكلام قد وقع على أحسن وجوهه ، وأن كل كلمة –بل كل حرف– قد جاء في مكانه المناسب ، بحيث لا يصح غيره بدلاً منه .

والأدلة على ذلك كثيرة سواء في اختلاف الألفاظ المعبر بها عن القصص القرآني ، أو في عموم القرآن الكريم ، وأنقل هنا نموذجا لاختلاف الألفاظ في التعبير عن القصة الواحدة وكيف أن هذا الاختلاف استلزمه السياق ، فوقع على أحسن وجوهه .

* في قصة آدم عليه السلام في سورتي البقرة والأعراف . تناولت السورتان القصة بألفاظ متقاربة،

ذكرت القصة في سورة البقرة في الآيات (٣٤- ٣٨) ، وذكرت في سورة الأعراف في الآيات (١٩- ٢٤) ..

تأمل الموطنين تجد بينهما فروقاً كثيرة ... منها :

١- لقد ذكر الله ﷻ معصية إبليس في البقرة بقوله ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ فجمع له ثلاثة أوصاف ، لم يجمعها ﷻ له في القرآن إلا في هذا الموطن ، أما في الأعراف فقال ﴿ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ .

٢- في البقرة ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وفي الأعراف ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، والفروق بين الآيتين واضحة :

البقرة	الأعراف
وقلنا يا آدم اسكن	ويا آدم اسكن
وكلا منها	فكلا
رغداً	ــــــــ

٣- لم يذكر في البقرة معاتبة الله ﷻ لآدم وزوجه على معصيتهما ، بخلاف الأعراف فقد ذكرها فقال ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

٤- طوى في البقرة تصريح آدم عن نفسه بالمعصية ، في حين ذكرها في الأعراف فقال ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

٥- قال في البقرة ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ولم يقل مثل ذلك في الأعراف .

و(**السياق**) الذي وردت فيه القصة في الموطنين هو سبب هذه الاختلافات بينهما، إن السياق في البقرة سياق تكريم لآدم عليه السلام ، تقدمت أمارات هذا التكريم على القصة كالتمهيد لها وكانت مظاهره فيما يلي :

أولاً : ذكر استخلافه عليه السلام وذريته في الأرض ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

ثانياً : ذكر تعليمه ﷻ لآدم عليه السلام أسماء الأشياء كلها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ .

ثالثاً : بيان فضله عليه السلام على الملائكة إذ علم وهم لا يعلمون ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ .

إذن السياق سياق تكريم لآدم عليه السلام ،

في حين لم تكن القصة في الأعراف مبنية على هذا الأمر ؛ بل لها غرض آخر ، وقد وقع فيها التكريم ثانوياً .

ومقام التكريم الذي في البقرة هو الذي قضى :

١- أن يصرح الله ﷻ أنه هو الذي أباح لآدم سكنى الجنة ﴿وقلنا﴾.

٢- أن يستعمل (الواو والضمير العائد على الجنة) في البقرة ﴿ وكلا منها ﴾ ذلك لأن الواو أوسع من (الفاء) -الواردة في الأعراف﴿فكلا﴾- في الاستعمال .

٣- التعبير في البقرة بقوله ﴿ رغداً ﴾ الدال على التنعيم والتدليل وعدم ذكره في الأعراف .

٤- عدم إدخال (من) الدالة على التبعيض ليشير إلى أن الجنة كلها مباحة لهما ﴿ وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ في حين قال في الأعراف ﴿ من حيث﴾.

٥- ترك في البقرة معاتبته ﷻ لآدم وزوجه على معصيتهما ، وهذا دليل على التكريم

٦- طوى في البقرة تصريح آدم عن نفسه بالمعصية .

وهكذا في كل موطن في القرآن تشابه عليك ، يكفيك ان تنظر نظرة في السياق الذي ورد فيه فيظهر لك لماذا يعبر ﷻ في موطن بكلمة ويعبر بغيرها في الموطن الآخر ، وتكتشف حينها أن كل كلمة بل كل حرف وكل آية قد ناسبت السياق الذي وردت فيه فوقعت على أحسن وجوهها .

الخاتمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

ووعد العاملين به ، القائمين بخدمته أن يجعل لهم من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ..

وأوعد المكذب به التارك لأمره أن يجعل صدره ضيقا حرجا ،

وأصلي وأسلم على خير البرية سيدنا محمد ، خير من وعى القرآن وطبقه شريعة ونهجا ،

وعلى أصحابه الطيبين الطاهرين الذين جعلهم الله -بأخذهم للقرآن الكريم- في سماء المسلمين نجوما سُرُجاً ،

أما بعد ... فلقد أتم الله ﷻ -بفضله- لي هذا البحث ، فله الحمد في الأولى والآخرة ،

ولست أدعي أني عرضت لكل ما في القرآن الكريم من نماذج (للتناسب) ، فالنسيان والخطأ وارد على البشر ،

كما لا أدعي أني أصبت مراد الله ﷻ من كلامه أو أتيت بما يشفي الصدور في كل ما تكلمت به ، حاشا لله فلا يعلم مراد الله ﷻ إلا الله ، وحسبي أنني حاولت ، والله الموفق ،

وقد خرجت من خلال هذا البحث بعدة نتائج يبدو بعضها -بالنسبة لي- جديدا ، وإن لم يكن كذلك عند أهل التخصص ، والبعض الآخر ليس كذلك وإثباته هنا لوقوفي بنفسي -من خلال البحث- على دليله ، وليس من رأى كمن سمع ...

١- التناسب ليس قاصرا على تناسب الآيات والسور بل هناك أنواع أخرى ، الإعجاز فيها أظهر ، من ذلك : تناسب الصوت والحركات والحروف والكلمات والصورة والرسم والسياق ، وهي مباحث سبعة ،

كفيلة –لو اتجهت إليها جهود الباحثين كما ينبغي– لخرجنا بسفر عظيم من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .

٢- أن جهود كثير من المفسرين قد بذلت في أبواب معروفة من المناسبات ، وهي مناسبة الآيات ومناسبة السور ، ولا تزال مكتبة التفسير فقيرة إلى تجديد النظر في هذا العلم .

٣- أن القرآن الكريم اختار أنسب الألفاظ وجعلها في أنسب مكان لها ، فليس هناك لفظة في اللغة العربية تصلح أن توضع مكان لفظة في القرآن الكريم وتفيد ما أفادته ، وليس هناك مكان لأي كلمة في التركيب القرآني أفضل من المكان التي وضعت فيه .... وكيف لا ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وهل بعد اختيار الله ﷻ اختيار ؟ وهل بعد تعبير الله تعبير ؟ .

٤- أن كتاب الله ﷻ كان ، ولا يزال –وسيظل كذلك إن شاء الله ﷻ – معطاء لكل من يرد حوضه ،معجزا لكل من أراد دحضه، فهو الذي لا يشبع منه العلماء ولا يخلَقُ على كثرة الرد .

٥- أن (التناسب) في القرآن الكريم باب كبير من الإعجاز اللغوي ، ينبغي إعادة النظر فيه بعين جديدة ، ليزداد الذين آمنوا إيمانا ، ويزداد مرضى القلوب رجسا إلى رجسهم فيموتوا بغيظهم .

٦- أخيراً، فإن التناسب اللفظي في القرآن لا يطلب لذاته بل لما ورائه من معنى؛ إذ هو الأساس والمقصود، والميزة التي انفرد بها القرآن، أنه استعمل هذه الأنواع التعبيرية، لإيصال المعاني المطلوبة، فجمع بين الوفاء بحق اللفظ والمعنى على حد سواء.

توصية :

لقد كانت عناية المفسرين منذ القدم ببيان معاني الكلمات وإعرابها وأسباب نزول الآيات ووجه اتصالها بما قبلها وأسماء السور ومناسبتها لما

قبلها ..... إلى آخر ما تعلمه من أمور تتعلق بالتفسير، غير أن واحداً منهم لم يعتن بأوجه إعجاز القرآن مثل اعتنائه بهذه الأمور ، وحين تنبه الزمخشري رحمه الله إلى هذا الأمر صرف عناية كبيرة إلى بيان حسن النظم القرآني ، ونهج كثير -من المهتمين بشئون القرآن- نهجه ، إلا إنهم صرفوا جل همومهم إلى التراكيب والجمل ، وقليل منهم من انصرف همه إلى مفردات القرآن وألفاظه ، ناهيك عن بنية الكلمة الواحدة.... **فلو أمعن المعنيون -بعلوم القرآن- النظر في مفرداته وحروفه لحصلوا بابا كبيرا آخر من فنون الإعجاز .**

وبعد .... فهاهنا جف القلم ، وكف اللسان عن الكلم ، ورست سفينة أفكاري بعد رحلة -ما أمتعها- في بحر القرآن الكريم ، وهذا جهدي – جهد المقل – وهذه بضاعتي ، أعتذر إلى الله ﷻ مما كان فيها من حشف أو سوء كيل ، وأسأله ﷻ أن يتقبل مني صالحها ويغفر لي ما دون ذلك ، كما أسأله ﷻ أن يجعل هذا العمل صالحاً ولوجهه خالصاً ، وأن يرزقنا حسن الفهم لكتابه والعمل به . آمين آمين آمين . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . والحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

مرتبة على حروف الهجاء

١- القرآن الكريم

٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي

٤- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة العالمية

٥- الأعلام للزركلي

٦- الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن لمحمود توفيق محمد سعد

٧- البرهان في ترتيب سور القرآن - لأبي جعفر بن الزبير .

٨- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

٩- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي . ط: دار الهداية

١١- تاريخ الأدب العربي للرافعي

١٢- التحرير والتنوير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ط: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

١٣- تحفة المحتاج في شرح المنهاج - لابن حجر الهيتمي

١٤- التوقيف على مهمات التعاريف -لمحمد عبدالرؤوف المناوي - ط: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠ت : د.محمد رضوان الداية

١٥- تفسير الشعراوي

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ مؤسسة الرسالة

١٧- التفسير الكبير محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي ط: دار إحياء التراث العربى

١٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي الدمشقي تحقيق سامي بن محمد سلامة ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩

١٩- دراسات ومحاضرات في علوم القرآنمحمد عبد السلام كفافى وعبد الله الشريف دار النهضة العربيه - بيروت .

٢٠- دلائل النبوة للبيهقي

٢١- سنن أبي داود - لأبي داود السجستاني. ط: دار الكتاب العربي ـــ بيروت

٢٢- سنن الدارمي - لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ط: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية.

٢٣- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) لمحمد بن إسماعيل البخاري.

ط : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

٢٤- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) لمسلم بن الحجاج – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- ط: دار إحياء التراث – بيروت)

٢٥- فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

٢٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني .

٢٧- في ظلال القرآن لسيد قطب ط/ دار الشروق .

٢٨- الكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الطبعة : الأولى تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .

٢٩- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل –للدكتور فاضل السامرائي

٣٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – للهيثمي ط : دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ

٣١- المحاور والمناسبات لسور القرآن الكريم –مصطفى مسلم

٣٢- المحيط في اللغة – الصاحب بن عباد

٣٣- المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – ط: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ – ١٩٩٠تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا

٣٤- المسند – للإمام أحمد بن حنبل.

٣٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ط: المكتبة العلمية - بيروت .
٣٦- المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار . ط : دار الدعوة - تحقيق:مجمع اللغة العربية.
٣٧- معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٣٨- المغرب في ترتيب المعرب -لأبي الفتح ناصر الدين بن علي بن المطرز- ط: مكتبة أسامة بن زيد - حلب الطبعة الأولى ، ١٩٧٩
٣٩- المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني
٤٠- ملاك التأويل - أبو جعفر بن الزبير الغرناطي
٤١- المناسبات بين الآيات والسور فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها د. سامي عطا حسن
٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ) ط:مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه -الطبعة الثالثة .
٤٣- النبأ العظيم للعلامة - لمحمد عبد الله دراز ط: دار القلم - الكويت.
٤٤- نظم الدرر لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي
٤٥- النهر الماد من البحر المحيط، تحقيق عمر الأسعد/ بيروت :دار الجيل
٤٦- وظيفة الصورة الفنية في القرآن عبد السلام أحمد الراغب نشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
٤٧- يتيمة الدهر - الثعالبي .

فهرست موضوعات البحث

مسلسل	الموضوع	الصفحة
١.	مقدمة البحث	٩١١
٢.	إعجاز القرآن الكريم	٩١١
٣.	أسباب اختيار الموضوع	٩١٩
٤.	الفصـــــــــل الأول	٩٢٣
٥.	تعريف علم المناسبة	٩٢٥
٦.	تاريخ هذا العلم	٩٢٩
٧.	موقف العلماء منه	٩٣٣
٨.	الفرق بين التناسب وبين غيره	٩٣٦
٩.	أولا : المتشابه اللفظي	٩٣٦
١٠.	ثانيا : مناسبة النزول	٩٣٨
١١.	فائدته	٩٣٩
١٢.	أنواع المناسبات	٩٤٠
١٣.	كيفية إيجاد المناسبة	٩٤١
١٤.	الفصل الثاني : أنواع التناسب	٩٤٣
١٥.	المبحث الأول : مناسبة الصوت	٩٤٥
١٦.	التطبيق على بعض الأمثلة	٩٤٥-٩٤٧
١٧.	المبحث الثاني : مناسبة الحركة	٩٥٠
١٨.	الأمثلة	٩٥٠-٩٥٧